أَلْطَفُ العِبَارَاتِ فِي شَرْحِ

كَشْفِ الشُّبُهَاتِ

تَصْنِيفُ شَيْخِ الإِسْلَامِ

مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ سُلَيْمَانَ التَّمِيمِيِّ

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

شَرْحُ الشَّيْخِ

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف العام على شبكة الإسلام اليوم

١٤٤٣هـ

المحتويات

مقدمة المؤلف ١

المقدمة الأولى: أقسام التوحيد الثلاثة ٤

إدخال توحيد الحاكمية في أقسام التوحيد الثلاثة ٧

ذكر الأدلة وأقوال العلماء على أقسام التوحيد الثلاثة ٨

المقدمة الثانية: معنى التوحيد والشرك ١٠

المقدمة الثالثة: أنواع الشرك ١١

المقدمة الرابعة: موقف كفار قريش من أنواع التوحيد الثلاثة ١٣

الأمور المستفادة من معرفة حال كفار قريش مع أنواع التوحيد ١٨

كشف الشبهات والرد على المخالف واجبٌ في الشريعة ٢٠

كشف تلبيس أقوام على القائم بواجب الرد على المخالف ٢١

- أنَّ فعلهم مُقسٍّ للقلوب! ٢١

- أنَّ فعلهم غيبة! ٢٣

- أنَّ الجرح والتعديل قد انتهى في هذا الزمن! ٢٥

الأمور التي بُنِيَ عليها كتاب (كشف الشبهات)..... ٢٧

(بداءة التعليق على المتن)..... ٢٩

شبهة أنَّ الله أعطى الله نبيه الشفاعة فنحن نطلبها منه ٦٣

شبهة: إنهم لا يكفرون بدعاء الأنبياء، وإنما لنسبة الولد لله ٦٦

شبهة: لا يصح تشبيه المسلم الواقع في الشرك بالمشرك..... ٧١

شبهة: كيف تجعلوننا كأتباع مسيلمة وقد نسبوه إلى النبوة ونحن لم نفعل؟..... ٧٥

الاستدلال بتكفير عليّ -رضي الله عنه- لمن أشرك به ٧٦

الجواب على شبهة: تُكفرون المسلمين وهم يقولون: لا إله إلا الله؟ ٧٩

استغاثة صاحب موسى -عليه السلام- لا يصح الاستدلال بها على جواز الاستغاثة . ٨٩

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد اطلعتُ على تفريغٍ لشرح كتاب كشف الشبهات لشيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- قام بإعداده، وتنسيقه بعض الإخوة ووضعوا له فهرسًا وقد أسميته: (**ألطف العبارات في شرح كشف الشبهات**).

أسأل الله أن يتقبله، وينفع به، ويجعله ذخرًا يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. عبد العزيز بن ريس الريس

المشرف على موقع الإسلام العتيق

http://islamancient.com

٦ / ٣ / ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فإنه قبل البدء بقراءة هذا الكتاب والتعليق عليه، إن المراد من هذا الكتاب كشف شبهات أدلى بها دعاة الشرك ليشبهوا على الناس دعوتهم وتمسكهم بالتوحيد فلبسوا عليهم بشبهات، فألف لهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب هذا الكتاب لكشف هذه الشبهات التي يلبسون بها على الناس في صدهم عن التوحيد ودعوتهم إلى الشرك.

والمراد بالشبهة في كلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب لما قال: كشف الشبهات

هي: اشتباه الحق بالباطل، وقد ذكر ابن القيم أنَّ الشبهةَ مأخوذةٌ من اشتباه الحق بالباطل فقال: **"وإنما سُميت الشبهة شبهة لاشتباه الحق بالباطل فيها، فإنها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل، وأكثر الناس أصحاب حسن ظاهر، فينظر الناظر فيما ألبسته من اللباس فيعتقد صحتها"**(١).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٤٠).

وذكر نحوًا من هذا الزبيدي، فقال: "**وشَبَّهَه عليه تَشْبِيهًا: خَلَّطَه عليه. وجَمْعُ الشُّبْهَةِ شُبَهٌ**" (١).

وهذا هو المراد من كلام المصنف؛ لأنه لما ذكر الشبهات وذكر الجواب المفصل استدلَّ بآيةِ آل عمران، وهي قوله سبحانه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ [آل عمران: ٧] والذي يقابل المحكم هو المتشابه أي: الذي اشتبه فيه الحق على الباطل، أي التبس أمره على الناس، وقد نهى الله بني إسرائيل عن لبس الحق بالباطل فقال سبحانه: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٤٢].

وهذا الكتاب يُدرس بعد أن يَدرس الطالب القواعد الأربع وثلاثة الأصول وكتاب التوحيد؛ لأنه لما درس الطالب هذه الكتب وفهمها وعرف الحق، أُثير على الحق شبهات تصد الناس عن دعوة الحق، فيتعلم هذا الكتاب ليرد الباطل ويكشف الذي لُبِّس على الناس.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٦/ ٤١٣).

ثم اعلم: أنَّ الكتاب يتعلق بالشبهات حول توحيد الألوهية والشرك فيه، فلذا من المهم أن تُعرف مقدمات:

المقدمة الأولى: أنَّ التوحيد أقسام ثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الاسماء الصفات. والجامع لهذه الأنواع الثلاثة أنها إفراد الله بما يختصُّ به.

وتوحيد الربوبية هو: إفرادُ الله بأفعاله التي يختص بها، كالخلق والرَّزق والإحياء والاماتة.

وتوحيد الألوهية هو: إفرادُ الله بالعبادة كالذبح والنذر والدعاء.

وتوحيد الأسماء والصفات هو: إفرادُ الله بأسمائه وصفاته، مثل اسم الرحمن، والرحيم، والسميع، وكصفة الرحمة والسمع.

فمعنى التوحيد راجع إلى أن يُوحَّدَ اللهُ تعالى ويُعبَدَ دون من سواه.

فإن قيل: ما الدليل على تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة؟

فيقال: هو السَّبرُ والتقسيم، فإنَّ العلماء لما سَبَروا أدلة الكتاب والسنة خرجوا بأنَّ التوحيد أقسامٌ ثلاثة. والسَّبرُ والتقسيم دليلٌ شرعيٌّ وعقليٌّ، وقد

استدلَّ الله به في كتابه فقال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]

فجعل الأقسام ثلاثة:

- **القسم الأول:** أنهم خُلقوا صدفة
- **والقسم الثاني:** أنهم خلقوا أنفسهم.

فبيَّن اللهُ سبحانه بطلان هذين القسمين، فبقيَ القسمُ الثالث وهو أنَّ الله سبحانه وتعالى خلقهم.

فإن قيل: لمَ لا يقال إنَّ هناك قسمًا رابعًا وهو أنَّ غيرهم من المخلوقين خلقهم؟

فيقال: ما تقدم بدلالة الآية والاستقراء أنَّ أيَّ مخلوقٍ لا يخلق نفسه فهو إذن لا يخلق غيره من باب أولى.

وقد ذكر هذا ابن تيمية فقال: "**وقد علم بالاضطرار، أن المحدَث لا بد له من محدِث، والممكن لابد له من موجب، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ**

شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]. فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق، ولا هم الخالقون لأنفسهم، تعين أن لهم خالقا خلقهم" (١).

وذكره ابن قدامة فقال: " **والبرهان على خمسة أضرب**" ثم ذكر منها: "**الخامس السبر والتقسيم**" (٢).

إذن بمقتضى الاستقراء يُقَسَّم التوحيد لهذه الأقسام الثلاثة، ونتيجة دليل الاستقراء أنه حكايةٌ للواقع لا إحداث شيء جديد.

وقال ابن هشام مستعملًا دليل الاستقراء: "**وهي اسم وفعل وحرف**"، لما ذكر حد الكلمة بيَّن أنها جنس تحته ثلاثة أنواع: "**الاسم والفعل والحرف، والدليل على انحصار أنواعها في هذه الثلاثة: الاستقراء، فإن علماء هذا الفن**

---

(١) التدمرية (٢/ ١٢).

(٢) روضة الناظر (ص: ١٨) (١ / ١٤٠) تاج العروس من جواهر القاموس (٣٦ / ٤١٣) التدمرية (٢ / ١٢) روضة الناظر (ص: ١٨).

تتبعوا كلام العرب فلم يجدوا إلا ثلاثة أنواع، ولو كان ثم نوع رابع لعثروا على شيء منه" (١).

تنبيهان:

التنبيه الأول: أراد بعضهم أن يدخل توحيد الحاكمية في أقسام التوحيد فيجعله قسمًا رابعا وهذا لا يصح لأمرين:

الأمر الأول: أنه بمقتضى مفهوم التقسيم أن يكون القسم الأول مغايرا للقسم الآخر، فإذا كان الناس ما بين ذكر أو أنثى، فالذكر لا يدخل في الأنثى، والأنثى لا تدخل في الذكر، بل هذا قسم مغاير لذلك القسم، وتوحيد الحاكمية إما أن يرجع إلى تطبيق العباد (التعبد بذلك) لأحكام الشريعة وهذا يرجع إلى توحيد العبادة، وإما أن يرجع إلى تشريع الأحكام في شرع الله (التشريع والتحليل والتحريم) وهذا يرجع إلى توحيد الربوبية، فهو إذن داخل في أحد الأقسام الثلاثة فلا يصح أن يفرد.

---

(١) شرح قطر الندى (ص: ١٢).

الأمر الثاني: أول تفرق وتحزب بدعي كان في الأمة الإسلامية بسبب الغلو في توحيد الحاكمية، فإن سبب تحزب الخوارج هو الغلو في توحيد الحاكمية وإفراده بقسم مستقل للتوحيد يزيده غلوا، والخوارج أول فرقة تحزبت على بدعة في الأمة الاسلامية كما ذكر هذا ابن تيمية في مجموع الفتاوى وكتابه الاستقامة وابن كثير في تفسيره وابن رجب في جامع العلوم والحكم، ولا زالت الأمة تعيش مفاسد الغلو في هذا المسمى بتوحيد الحاكمية.

التنبيه الثاني: قد أشار الى أقسام التوحيد الثلاثة جمع من أهل العلم من السابقين واللاحقين، كأبي حنيفة في الفقه الأكبر وابن جرير في تفسيره واشتهر بذكره شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والمقريزي الشافعي في تجريد التوحيد، واشتهر بذلك أئمة الدعوة النجدية السلفية من الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى أتباعه في نصرة التوحيد.

ولابن القيم تقسيمٌ آخر ذكره في كتابه مدارج السالكين فقال:" **وهو نوعان توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد** "[1].

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩).

والمراد بتوحيد المعرفة والإثبات: توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

والمراد بتوحيد الطلب والقصد هو: توحيد الألوهية.

وهذا تقسيم آخر ذكره - كما تقدم - والأمر في ذلك واسع لأن المرجع بيانه، ويتضح بهذا وذاك، إلا أن التقسيم الثلاثي أكثر اشتهارا وأكثر وضوحا.

والدليل على توحيد الربوبية قال سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] وقال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]،

أما دليل توحيد الإلهية: قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]،

ودليل توحيد الاسماء والصفات قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

ودليل الصفات قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢]

وجه الدلالة: أن الله نزه نفسه عما وصفه المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين؛ لأنهم وصفوه بما يليق به سبحانه، فدل هذا على أن له صفات سبحانه، وفي الصحيحين واللفظ للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فقال: سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ فَسَأَلُوهُ فَقَالَ لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وقد اقره النبي ﷺ على هذا فَقَالَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ». وهذا فيه ردٌّ على ابن حزم الذي أنكر أن يكون لله صفات، حتى قال ابن عبد الهادي: إن ابن حزم جهمي جلد.

المقدمة الثانية: إذا تبيَّن ما تقدَّم، فالذي يُضادّ التوحيد الشرك، **وهو تسوية غير الله بالله في شيء من خصائص الله**، كما قال سبحانه عن المشركين: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨]

وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]

وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

وروى البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ».

أما تعريف الشرك فذكره بمعناه: ابن تيمية في (التدمرية) وكتاب (الاستقامة) وكما في (مجموع الفتاوى)، وابن القيم في (مدارج السالكين) و(إغاثة اللهفان)، وابن رجب في رسالة الإخلاص، والشيخ عبد الرحمن بن حسن في (فتح المجيد)، إلى شيخنا الشيخ العلامة محمد بن الصالح العثيمين.

المقدمة الثالثة: الشرك نوعان: الشرك الأكبر والشرك الأصغر كما ذكر ابن تيمية في مواضع من مجموع الفتاوى، وابن القيم في إغاثة اللهفان والداء والدواء.

وقد قسَّم الشرك إلى أقسامٍ ثلاثة: الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وجمعٌ من أئمة الدعوة، كالعلامة الشيخ عبد الله أبا بطين في الدرر السنية، وقالوا: الشرك ينقسم إلى: شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي.

والأظهر والله أعلم أن الشرك قسمان، وأنَّ الشرك الخفي يدخل في الشرك الأكبر والشرك الأصغر كما ذكر ذلك شيخنا العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى في المجلدات الأُول من مجموع مقالاته وفتاواه.

والمراد بالشرك لخفي: أي الذي لا يتضح للناس وقد يكون في الأكبر وقد يكون في الأصغر،

فالصواب أن الشرك شركان، شركٌ أكبر وشركٌ أصغر، وهو الذي دلت عليه الشريعة، فقد ثبت عند الإمام أحمد والبيهقي: واللفظ لأحمد عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأصغر»، قَالُوا وَمَا الشِّرْكُ الْأصغر يَا رَسُولَ اللهَّ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً».

فجعلت الشريعة من الشرك ما هو أصغر وهو الرياء -كما تقدم- وهذا الرياء خفيٌّ وهو شرك أصغر كما أخرج ابن خزيمة (٩٣٧) وغيره عن محمود بن لبيد قال: خرجَ النبيُّ ﷺ فقال: «أيها الناس إياكم وشرك السرائر» قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس إليه، فذلك شرك السرائر».

إذن الشرك الخفي قد يكون في الأصغر، فهو ليس قسمًا مُغَايرًا للشرك الأكبر والشرك الأصغر، بل هو داخلٌ فيهما، فقد يكون الشرك الأكبر شركًا خفيًّا وقد يكون الشرك الأصغر شركًا خفيًّا.

والذي قرره الإمام المجدد في هذا الكتاب هو بيان التوحيد وبيان الشبهات التي أثيرت على التوحيد.

وإنَّ من أهم ما ينفعك في معرفة التوحيد ومعرفة الشبهات المثارة حول التوحيد، أن تعرف حال كفار قريش، حتى إذا رأيت أناسًا من أهل زمانك يفعلون أفعالًا ويزعمون أنها ليست شركًا وقد فعلها كفار قريش وأنكرها الله عليهم وجعلها شركًا، فتنكر عليهم بأن فعلهم هذا مثل فعل كفار قريش.

المقدمة الرابعة: كفار قريش تجاه أنواع التوحيد الثلاثة كما يلي:

أما توحيد الربوبية: فهم مقرون به في الجملة وليس إقراراهم به إقرارا تفصيليا، كما قال سبحانه: ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٣١] فهم مقرون بتوحيد الربوبية لكن إقرارهم مقيد بقيدين:

القيد الأول: أنه في الجملة، لذلك عندهم شرك في التمائم، والشرك في التمائم شرك راجع إلى الشرك في توحيد الربوبية، كما قال ابن أبي العز الحنفي: **" وكثير من مشركي العرب وغيرهم قد يظن في آلهته شيئا من نفع أو ضر، بدون أن يخلق الله ذلك"**(١).

القيد الثاني: إلا البعث والنشور فإنهم كانوا منكرين للبعث والنشور، مع أن البعث والنشور من الربوبية قال سبحانه: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [التغابن: ٧].

---

(١) شرح الطحاوية (٨٦)، وقال في شرح الطحاوية (ص: ٨١): "فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [سورة لقمان: ٢٥]. ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ [سورة المؤمنون: ٨٤، ٨٥]، ومثل هذا كثير في القرآن، ولم يكونوا يعتقدون في الأصنام أنها مشاركة لله في خلق العالم، بل كان حالهم فيها كحال أمثالهم من مشركي الأمم من الهند والترك والبربر وغيرهم، تارة يعتقدون أن هذه تماثيل قوم صالحين من الأنبياء والصالحين، ويتخذونهم شفعاء، ويتوسلون بهم إلى الله، وهذا كان أصل شرك العرب".

أما توحيد الأسماء والصفات: فإنهم مقرون بأسماء الله كلها إلا اسم الرحمن، أشار لهذا ابن كثير في تفسيره[١] فقال: "**وقد زعم بعضهم أن العرب لا تعرف الرحمن، حتى رد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعَلي: "اكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ "، فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم. رواه البخاري، وفي بعض الروايات: لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠]**".

وذكر هذا الشيخ سليمان بن عبد الله، وذكر أن منهم من أقرَّ باسم الرحمن، لكن أكثرهم منكرون لاسم الرحمن لذا أنكر الله عليهم، فقال رحمه الله:

" **ولم يعرف عنهم إنكار شيء من هذا التوحيد إلا في اسم الرحمن خاصة، ولو كانوا ينكرونه لردّوا على النبي ﷺ ذلك، كما ردّوا عليه توحيد الإلهية.**

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٢٦).

فقالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] لاسيما السور المكية مملوءة بهذا التوحيد "[١].

والدليل على أنهم مقرون بجميع الأسماء إلا اسم الرحمن: أنَّ الله أنكر عليهم لما أنكروا اسم الرحمن، فدلَّ هذا على أنهم لو كانوا منكرين اسما آخر غير اسم الرحمن لأنكرَ الله عليهم، فلما لم يُنكر الله عليهم إلا إنكارهم لاسم الرحمن، دلَّ هذا على أنهم مقرون ببقية أسماء الله ولم ينكروا إلا اسم الرحمن.

أما من جهة صفات الله: فهم مقرون بصفات الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: **"ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد، وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه، بخلاف الصفات، فإنه لم ينكر شيئًا منها أحد من العرب"** [٢].

أما توحيد الألوهية: فهم مشركون فيه، وهي المعركة بين الرسل وبين قومهم، ولذلك فإن السبب الرئيس لإرسال الرسل هو دعوة الناس إلى التوحيد وإنكار الشرك عليهم، كما حصل لقوم نوح فقد أخرج البخاري-

---

(١) مقدمة كتابه تيسير العزيز الحميد (١/ ٢٧).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٨٣).

من طريق عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] قال: "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت".

فلأجل هذا أرسل الله نوحا عليه السلام، ولأجل هذا يفسر الصحابة وكثير من العلماء العبادة بالتوحيد، وهذا معروف عن السلف أنهم يفسرون الشيء بذكر شيء من أفراده وهم بهذا ذكروا الفرد الأهم لأجل أن المعركة كانت في ذلك، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: قوله" ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾: أي وحّدوا ربّكم"(١). وإلا فإن العبادة أشمل، ومعروف عن السلف أنهم يذكرون فردا من أفراد التفسير لأهميته أو لغير ذلك، ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية "فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافًا، فيحكيها أقوالا وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء

---

(١) تفسير ابن ابي حاتم (٢١٤).

بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي" (١).

وقال ابن القيم: "وقد يقع في كلام السلف تفسير اللفظ العام بصورة خاصة على وجه التمثيل لا على تفسير معنى اللفظة في اللغة بذلك، فيغير به المعنى فيجعله معنى اللفظة في اللغة كما قال بعضهم في قوله ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] إنه الماء البارد في الصيف فلم يرد به أن النعيم المسؤول عنه هو هذا وحده، وكما قيل في قوله ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، إنه القدر والفأس والقصعة، فالماعون اسم جامع لجميع ما ينتفع به، فذكر بعض السلف هذا للسائل تمثيلا وتنبيها بالأدنى على الأعلى، فإذا كان الويل لمن منع هذا فكيف بمن منع ما الحاجة إليه أعظم، وإذا كان العبد يسأل عن شكر الماء البارد فكيف بما هو أعظم نعيما منه" (٢).

إذا تبيَّن معرفة حال كفار قريش فيستفاد ما يلي:

---

(١) مقدمة في أصول التفسير (٢/ ٤٢).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٦٩٩)

الأمر الأول: معرفة معنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وأنها ليست راجعةً إلى توحيد الربوبية، وليست راجعةً إلى أنه لا خالقَ إلا الله، فلو كان هذا معناها لما أنكرها كفار قريش ولما قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] لأنهم مُقرون بأنه لا خالق ولا رازق إلا الله، أو كما يقول المتكلمون: لا قادر على الاختراع إلا الله، وإنما معناها راجع إلى توحيد الألوهية وإلى إفراد الله بالعبادة، إذن يكون معناها: لا معبود بحق إلا الله، كما قال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في (الأصول الثلاثة) - وغيرها من رسائله-: **ومعناها لا معبود بحق إلا الله**.

الأمر الثاني: معرفة أنَّ المسمى بالوسائط والشفاعة وغير ذلك من الأسماء شركٌ، وهو شركُ كفار قريش، فكفار قريش صاروا مشركين؛ لأنهم صرفوا عبادات لغير الله، بحُجَّة أنَّ هؤلاء واسطة وشفعاء لهم عند الله، قال سبحانه عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣] وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

فإذا قال لك قائل: أنا أعرف أنَّ هذا الولي لا يضر ولا ينفع وإنما أردت أن يكون واسطةً لي عند الله فصرفت له شيئًا من العبادة لأجل هذا؟

فتقول له: هذا هو عين شرك كفار قريش سواءً بسواء، كما سيأتي بيان هذا إن شاء الله.

وبعد هذا: فإنَّ كشفَ الشبهات والرد على المخالف واجب في الشريعة وهو فرعٌ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لذا قال سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠] وهو فرض كفاية، فإذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين القادرين على القيام بهذا الفرض والواجب.

وهو من أعظم العبادات وهو جهاد الخاصة، فإنَّ الجهاد بالسيف جهادُ العامة يقوم به العالم وغير العالم ممن هم قادرون على القتال، وأما الرد على المخالف وكشف الشبهة فهذا لا يقوم به إلا الخاصة كما ذكر هذا ابن القيم[١] فقال:

"**وإنما جعل طلب العلم من سبيل الله لأن به قوام الإسلام كما أن قوامه بالجهاد، فقوام الدين بالعلم والجهاد، ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وهذا المشارك فيه كثير، والثاني الجهاد بالحجة والبيان وهذا جهاد**

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٧٠).

الخاصة من أتباع الرسل وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفعته وشدة مؤنته وكثرة أعدائه، قال تعالى في سورة الفرقان وهي مكية ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا. فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١، ٥٢] فهذا جهاد لهم بالقرآن وهو أكبر الجهادين، وهو جهاد المنافقين أيضًا، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن ".

فلذا من الواجب القيام بالرد على المخالف، وأن يُنصَرَ ويُعَان من يقوم بالرد على المخالف؛ لأنه قائمٌ بفرض الكفاية الذي يرفع الإثم عن الباقين القادرين.

ومما في الرد على المخالف: حفظُ الشريعة والدين فلذا وجبَ الاعتناء به.

وقد لبّس أقوام على الرادين على المخالف بأمور:

الأمر الأول: أن فعلهم مُقسٍّ للقلوب!

وقولهم هذا بمعنى أنَّ الذي يقرأ القرآن يجدُ لذةً ورِقَّةً في قراءته، وهذه اللَّذة والرِّقة لا يجدها الرَّادُّ على المخالف! فمثل هذا يقال أيضًا فيمن يُقاتل في أرض المعركة مع الأعداء ويجاهدهم، فإنَّ الذي يضرب بسيفه رقاب الكفار ويسفك دماءهم لا يجد لذَّةً في وقت ضربه بالسيف كما يجدها من يقرأ القرآن، لكن من حيث المآل، إذا تذكر أن ما يقوم به عبادة وأنه قد حمى ديار المسلمين وأعراضهم وأنفسهم وأنه قد كان سببًا لنشر الدين وأنَّ أقوامًا دخلوا الإسلام بسببه، وجَدَ لذَّةً ورِقَّةً لا يجدها قارئُ القرآن،

ومثل هذا يقال في الراد على المخالف فإن حماية الشريعة بالرد على المخالفين وكشف الشبهات لحفظ الشريعة من غير تبديل ولا تحريف كمثل المجاهد في سبيل الله بل هو أفضل لأنه جهاد الخاصة كما تقدم،

ويبين هذا أن أولي العزم الخمسة كلهم قاموا بجهاد الكلمة وبالرد على المخالف أما جهاد السيف فلم يقم به إلا محمد ﷺ، فقد جمع بين الأمرين جهاد السيف وجهاد الكلمة، والرسل كلهم أجمعوا على الجهاد الأفضل وهو جهاد الكلمة، أما موسى ﷺ فقد أَمَرَ قومه بجهاد السيف لكنَّ قومه لم يتابعوه، فالمقصود أنَّ الرسل أجمعوا على الجهاد الأفضل، أما الجهاد بالسيف

فمنهم من قام به ومنهم من لم يقم به، فإذن القول بأنَّ في هذا تقسِيةً للقلوب قولٌ خطأ، وهو قولُ من يجهل عظيمَ فائدةِ الردِّ على المخالف.

الأمر الثاني: أنَّ فعلهم غيبة!

وهذا لا يصح بحال، لأنَّ هناك فرقًا بين الغيبة والنصيحة، **فالنصيحة:** الكلام في الآخرين لأجل مصلحة دينيةٍ أو دنيويةٍ.

أما الغيبة: الكلام في الآخرين من غير مصلحةٍ دينيةٍ أو دنيويةٍ، وقد استدلَّ ابنُ عبد البر في (التمهيد) وابن القيم في كتابه (الروح) وابن رجب في كتابه (الفرق بين النصيحة والتعيير) بما أخرج مسلم عن فاطمة بنت قيس، أنَّ أبا عمرو بن حفص طلقها البتة، وهو غائب، فأرسل إليها وكيله بشعير، فسخطته، فقال: والله ما لك علينا من شيء، فجاءت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال: «ليس لك عليه نفقة»، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: «تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجلٌ أعمى تضعين ثيابك، فإذا حللت فآذنيني»، قالت: فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان، وأبا جهم خطباني، فقال رسول الله ﷺ: «أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له،

انكحي أسامة بن زيد» فكرهته، ثم قال: «انكحي أسامة»، فنكحته، فجعل الله فيه خيرًا، واغتبطت به.

فتكلم ﷺ في هذين الرجلين لمصلحةٍ دينيةٍ وهي الزواج، فإذا جازَ الكلامُ لمصلحةٍ دنيويةٍ وفي أمرٍ خاصٍّ، فجوازهُ في مصلحةٍ دينيةٍ وفي أمرٍ عامٍّ من باب أولى.

قال الإمام ابن القيم: **"فصل: والفرق بين النصيحة والغيبة أن النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع أو فتان أو غاش أو مفسد، فتذكر ما فيه إذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به، كما قال النبي لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية وأبي جهم، فقال: أما معاوية فصعلوك وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وقال بعض أصحابه لمن سافر معه إذا هبطت عن بلاد قومه فاحذروه،**

فإذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهي قربة إلى الله من جملة الحسنات وإذا وقعت على وجه ذم أخيك وتمزيق عرضه

والتفكُّه بلحمه والغض منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تأكلها كما تأكل النار الحطب"[١].

الأمر الثالث: أنَّ الجرح والتعديل قد انتهى في هذا الزمن بانتهاء رواية الأحاديث، وأغلب الموجود في أيدي الناس وجادات وإجازات، بل أحيانا إجازة بالجملة، وإنما العمدة على الرواية في عصور الرواية، وقد انتهى باب الجرح والتعديل بهذا المعنى؟

وهذا صحيح، والجرح والتعديل بهذا المعنى مُجمعٌ على جوازهِ، وقد حكى الإجماعَ عليه ابن رجب في كتابه (الفرق بين النصيحة والتعيير)، وأيضًا الجرح والتعديل بمعنى بيان خطأ المخطئ والرد عليه مُجمعٌ عليه، كما بيَّن هذا ابن رجب نفسه في كتاب (الفرق بين النصيحة والتعيير)، فكما أنَّ الأول مُجمعٌ عليهِ فكذلك الثاني مُجمعٌ عليه، وكله من الدين.

قال ابن رجب: "وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة وردُّوا على من سوَّى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه، ولا فرق بين الطعن في رواة حفَّاظ

---

(١) الروح (ص ٢٤٠).

الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوَّلَ شيئًا منها على غير تأويله وتمسك بما لا يتمسك به ليُحذِّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك أيضًا.

ولهذا نجد في كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة بالمناظرات وردِّ أقوال من تُضَعَّفُ أقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم"[١].

فاللهَ اللهَ أنَّ نفقَهَ هذا الباب ونعرفه وألّا يُلبَّس علينا ونُصَدُّ بأمثال هذه الشبهات التي لا ينبغي الالتفاتُ إليها لمن أُوتي بصيرةً.[٢]

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير (ص ٧).

(٢) قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٣١): وإذا كان النصح واجبا في المصالح الدينية الخاصة والعامة: مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون كما قال يحيى بن سعيد: سألت مالكا والثوري والليث بن سعد - أظنه - والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ؟ فقالوا: بين أمره. وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: أنه يثقل عليَّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا. فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من

وبعد هذا: فإنَّ كتابَ كشفِ الشبهات كغيره من كثير من المختصرات للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، يجمعُ بين أمورٍ ثلاثة: الاختصار، والسهولة في العبارة، وغزارة العلم، فتجد كتابَ كشفِ الشبهات وكتاب الأصول الثلاثة والقواعد الأربع وكتاب التوحيد مختصرة وسهلة، وتجد فيها علمًا غزيرًا، وهذا في كثيرٍ من مصنفات الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب وهو من النصح لأمة محمد ﷺ.

وهذا الكتاب قد بني على ما يلي:

السقيم. ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء."

الأمر الأول: مقدمة نفيسة.

الأمر الثاني: **ذكر شبهات**، ثم ذكر أن الجواب عليها يكون بطريقين:

- **الطريق الأول:** **الجواب المجمل**، وخلاصته: أن من ليس عنده علم يقول: أعرف أنّ ما أنا عليه حق ودل عليه الكتاب والسنة ولا أفهم كلام المشبه فأرد المتشابه إلى المحكم.

- **الطريق الثاني:** **الجواب المفصل**، ثم ذكر بعد ذلك شبهات مفصلة ثم أجاب عليها، وفي أحد هذه الشبهات وخلاصتها: كيف يكفر الرجل بعد إسلامه، فإن من دخل الإسلام لا يكفر، وكيف يقاس المسلم الذي نطق الشهادتين وتلبس بالشرك على أبي جهل وأبي لهب وهم أصلًا لم يدخلوا الإسلام؟ فأطال الجواب عليها من أوجه ستأتي.

الأمر الثالث: **خاتمة**، وذكر فيها أمرين مهمين وسيأتي قراءتها إن شاء الله تعالى والتعليق عليها.

وبما أنَّ هذه الرسالة مختصرة وواضحة فلا نحتاج إلى تعليق كثير وإنما يعلق على الأمر المهم إن شاء الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة(١)،

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام، أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودا وسواعا ويغوث ونسرا، وآخر الرسل محمد ﷺ، وهو كسر صور هؤلاء الصالحين،(٢)

---

(١) عرَّفَ الإمام نوعًا واحدًا من التوحيد، وهو توحيدُ الألوهية؛ لأنه هو الذي اعتنى به في هذا المصنَّف، ويُقال عنهُ توحيدُ الإلهيَّة وتوحيدُ العبادة، وهذه طريقةٌ معروفةٌ عند السلف كما تقدم ذكره، بل هو معروفٌ في الهدي النبويّ، ففي حديث عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَعْمَرَ الدِّيلِيَّ يَقُولُ شَهِدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ وَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ الْحَجُّ فَقَالَ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ»، فعرَّفَ الحجَّ بذكرِ فردٍ من أفرادهِ وبِذِكر ركنٍ من أركانه.

(٢) إذن أوَّل الرُّسل نوح، ويدل على ذلك حديث الشفاعة الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٠) وغيرهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا».

وأما آدم فإنه نبيٌّ لِـما ثَبَتَ عند ابن حبان (٦١٩٠) عن أبي أمامة: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله أنبيٌّ كان آدم؟ قال: «نعم، مُكلَّم» قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: «عشرة قرون».

والرسولُ والنبيُّ يتفقان في أنَّ كليهما يُبلِّغ الشريعة، بل واجبٌ عليه البلاغ، ومن قال: إنَّ النبيَّ غيرُ واجبٍ عليه البلاغ وإنما يجب على الرسول فقد أخطأ، كما بيَّنَ هذا ابن تيمية في كتاب (النبوات)، وذلك أنَّ اللهَ أخذَ العهدَ على أهل العلم أن يُبلِّغوا دين الله، فالأنبياء من بابِ أولى، وإنما الظاهر – والله اعلم – أنَّ الرسول أُرسِلَ إلى أقوامٍ مخالفين، أما النبيُّ فقد أُرسِلَ إلى أقوامٍ موافقين، هذا هو الذي ذكره ابن تيمية في كتابه (النبوات ص١٨٤):

"فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله اليه، فهو رسول وأما اذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول، قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته﴾ الآية؛ وقوله من رسول ولا نبي فذكر إرسالًا يعم النوعين وقد خص أحدهما بأنه رسول فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته الى من خالف الله كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث الى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيت وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيا مكلمًا، قال ابن عباس: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام، فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم، لكونهم مؤمنين بهم، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول، وكذلك أنبياء بني اسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصة معينة، ولكن كانوا في

شرع التوراة كالعالم الذي يفهمه الله في قضية معنى يطابق القرآن كما فهم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود، فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ولا بد أن يكذب الرسل قوم قال تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ وقال: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ فإن الرسل ترسل إلى مخالفين، فيكذبهم بعضهم، وقال: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون* حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾ وقال: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾ فقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولا عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق، كالعلم، ولهذا قال النبي ﷺ: (العلماء ورثة الأنبياء)، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة، فإن يوسف كان رسولًا، وكان على ملة ابراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة، قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولًا﴾ وقال تعالى: ﴿إنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان

أرسلهُ الله إلى أناسٍ يتعبَّدون ويحجُّون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرًا، (١)

وآتينا داود زبورا * ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما﴾".

(١) ذكر المصنف أمرًا مهمًّا وهو أنَّ كفار قريش كانوا يتصدقون ويذكرون الله ويحبون الله... إلخ، ومع ذلك صاروا مشركين وفي النار، ووجب قتالهم، **فإن قيل:** كيف يُقَاتل أناس يتصدقون ويذكرون الله ويحبون الله؟ **فيقال:** السبب أنهم كافرون، لأنهم صرفوا عبادة لغير الله سبحانه، إذن بصرفهم عبادة لغير الله سبحانه صاروا كفارًا، فلا يُلتفت إلى أنهم كانوا يتصدقون ويذكرون الله.

وقد وُجِدَ في زماننا الآن وقبل سنين من يقول: إنه بولغ في وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب بأنه مجدد، وبُولغ في وصف أهل نجد بالشرك بل وقالوا: أهل نجد ما كانوا على الشرك الذي يذكر، لا شك أن عندهم شركا كغيرهم ولكن ليس كما يذكرون والدليل على ذلك أنك تجدهم يكتبون في وصاياهم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنهم كانوا يصلون ويتصدقون ويحجون إلى غير ذلك؟

فيقال: إنهم فعلًا كانوا يفعلون ذلك بل كان لهم قضاة لكن كان كثير منهم مُتلَبِّسًا بالشرك الأكبر، وكثيرٌ من علمائهم لا يراه شركًا، ومن رآهُ شركًا رآهُ شركًا أصغرَ، ومَنْ رآهُ شركًا

أكبر لا يُكفِّر المعين حتى مع توافر الشروط وانتفاء الموانع، لذلك ألَّف الإمام محمد بن عبد الوهاب كتابه: (مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد) وأقام هذا الكتاب على أمرين:

الأمر الأول: إثبات أنَّ هذا الذي يفعلونه من صرف العبادة لغير الله شركٌ أكبر.

الأمر الثاني: أنَّ من فعله بعد (قيام الحجة) - توافر الشروط وانتفاء الموانع- فإنه كافر، فالـمُعيَّن يكفر بعد إسلامه، فألَّف الرسالة لأجل ذلك، ورد على من أورد كلمات لابن تيمية في أنَّ صرف العبادة لغير الله ليس شركًا وبيَّنَ خطأ هذا الأمر.

أما وجود الشرك في زمن الإمام المجدد فيدل عليه ما يلي:

الأمر الأول: نقلُ الثقات لحالهم، ومنهم الإمام المجدد وتلاميذه الذين عاشوا ذاك الزمان ومنهم الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود كما في الدرر السنية المجلد الأول فقد ذكر أنهم كانوا على شرك وعلى حال مزرية من صرف عبادات لغير الله إلى غير ذلك.

الأمر الثاني: أنَّ بعض التائبين كأحد القضاة وهو ابن عيسى كان قاضيًا وعنده شرك فتاب إلى الله وبيَّنَ أنهم كانوا على شرك.

الأمر الثالث: أنَّ المؤرخين الذين كتبوا من غير نجد كالشوكاني ذكر أنه كان يوجد عند أهل نجد شرك، وأنه قد شاع وانتشر بينهم، بل ذكر أنَّ بعضَ البادية كانوا يُنكرون البعث والنشور، وقد ذكر هذا الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب في بعض رسائله.

ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله. يقولون نريد منهم التقرب إلى الله، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة وعيسى ومريم و أناس غيرهم من الصالحين، فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لا يصلح منه شيء لغير الله، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما؛ وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو

الأمر الرابع: أنَّ بعض الكفار المستشرقين ترجموا للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وحكوا حال نجد، وبيَّنوا أنَّ الشرك كان عامًّا في نجد، وأنَّ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب قام بتجديد دعوة التوحيد.

الأمر الخامس: إذا كانت بلاد الشام ومصر والعراق اليمن وهي بلادُ علمٍ ومعرفةٍ قد انتشَرَ فيها الشرك إلى يومنا هذا، وهم أهلُ علمٍ ومعرفةٍ وأهل قراءةٍ واطِّلاعٍ والعلمُ شائعٌ بينهم، فأهل نجدٍ من باب أولى، إذ كان من يعرِف القراءة والكتابة منهم قليلٌ للغاية، وكان الجهل قد انتشر بينهم والجهل ما انتشر في أرض إلا وترى الشرك متابعًا له.

فإذن هذه الشبهة شبهةٌ باطلةٌ، وما رددوه من أنهم كانوا يُقرون بما تقدم ذكره ليس كافيًا؛ لأنَّ الشرك الذي كان موجودًا في أهل نجد هو شرك الوسائط، **ومعنى شرك الوسائط**: أنهم يعتقدون في شيخهم أو الصالح أو غيره أنهم إذا صرفوا له عبادة، توسط لهم عند الله فدعوه، إلى غير ذلك، وهذا ما سيبينه الإمام المجدد في هذه الرسالة، وبين لهم أن فعلهم هذا هو فعل كفار قريش سواء بسواء، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

الخالق وحده لا شريك له، و أنه لا يرزق إلا هو، ولا يحيي ولا يميت إلا هو، ولا يدبر الأمر إلا هو، وأن جميع السموات ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره.

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بهذا فاقرأ قوله تعالى: ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَوَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ)) [يونس: ٣١] وقوله: ((قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ. قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ)) [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩] وغير ذلك من الآيات. فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا، ولم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله ﷺ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه، هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا(الاعتقاد)؛ كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهارًا [١].

---

(١) ومراده بقوله: (الاعتقاد): أنهم كانوا يعتقدون أنَّ هذا الرجل أهلٌ أن يُدعى من دون الله ليشفعَ لهم عند الله. وذكر الإمام المجدد ثلاث صفات للمشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ:

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له، أو يدعو رجلا صالحا، مثل اللات أو نبيًا مثل عيسى،[١]

وعرفت أن رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال الله تعالى: ((فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) [الجن: ١٨][٢]

وقال: ((لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ)) [الرعد: ١٤]، وتحققت أن رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله والذبح كله لله، والاستغاثة كلها بالله،

الصفة الأولى: أنهم يعبدون الله ويذكرونه إلخ.

الصفة الثانية: أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية.

الصفة الثالثة: أن منهم من يعبد الصالحين؛ لأن الكفار المتأخرين يقولون لا تقيسون حالنا بكفار قريش فإن كفار قريش ما كانوا يعبدون الصالحين أما نحن فنعبد الصالحين **فيقال:** بل كان كفار قريش يعبدون الصالحين.

وسيُبيِّن لهم أنَّ المعبودات التي عُبِدت من دون الله ثلاثة: **أولًا**: صالحون، **ثانيًا**: طالحون، **ثالثًا**: من لا يُنسب له صلاح ولا طلاح، وهي الأشجار والأحجار.

وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة، والأنبياء، والأولياء، يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون.(١)

وهذا التوحيد هو معنى قولك: (لا إله إلا الله)، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا، أو نبيا، أو وليًا، أو شجرة، أو قبرًا، أو جنيًا،(٢)

لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر؛ فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك. وإنما يعنون بالإله: ما يعني المشركون في زماننا بلفظ (السيد)،(٣) فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد

---

(١) وهذه مقدمة تُكتب بماء الذهب، فلما ذكر صفاتهم الثلاث وأنهم قوتلوا مع ذلك، بيَّن أنه بهذا يُعرَف التوحيد الذي من أجله أرسلت الرسل وهو ألا يعبد إلا الله.

(٢) ذكر نوعين من المعبودات الباطلة: الصالحة، والتي لا يُنسب لها صلاح ولا فساد.

(٣) **ويريدون بالسيد**: من بلغ درجة في السؤدد والصلاح، بحيث إنه يتوسط به عند الله فيدعى ويستغاث به إلى غير ذلك، وليس كما يقول بعضهم إنه لقب لشيخ المكارمة، فهذا

وهي: (لا إله إلا الله). والمراد من هذه الكلمة: معناها، لا مجرد لفظها.(١)

لقبٌ لشخص معيَّن واحد، والإمام إنما يتكلم عن أهل نجد، وهذا ليس موجودًا فيهم وليس قريبًا منهم، وكلامه عام فيدخل فيهم شيخ المكارمة وغيره.

قال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في (منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ص: ٣١٣): "**فإن السيد عند أكثر المشركين في هذه الأزمان هو الذي يدعى ويستغاث به في الشدائد ويرجى للنوازل، ويحلف باسمه، وينحر له على وجه التعظيم والقربة. وبعضهم يطلق على ذلك اسم الولي، كما هو اصطلاح أهل مصر. وبعضهم يسمي هذا المعنى السر، فيقول: فلان فيه سر، ومن أهل السر**".

(١) إذن فلا يكفي في كلمة التوحيد أن يتلفَّظ العبد بها دون معناها، فلا تنفع كلمة التوحيد دون شروطها، ومن قال: كلمة التوحيد تنفع بدون شروطها، فقد قال قولًا كفريًّا؛ لأن مقتضى قوله أنَّ المنافقين مسلمون، فقد قالوها ولم يعملوا بمقتضاها ولا بمعناها.

ومن شروط هذه الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله): الإخلاص: كما أخرج البخاري: عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: " لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه".

والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو: (إفراد الله تعالى) بالتعلق، (والكفر) بما يُعبد من دون الله، والبراءة منه; فإنه لما قال لهم: قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا: ((أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)) [ص: ٥] فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون

الصدق: كما أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ، ومعاذ رديفه على الرحل، قال: «يا معاذ بن جبل»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك، قال: «يا معاذ»، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثا، قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار»، قال يا رسول الله: أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذا يتكلوا»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثما.

اليقين: كما أخرج مسلم: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يا أبا هريرة» وأعطاني نعليه، قال: «اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه، فبشره بالجنة»، فكان أول من لقيت عمر.

العلم: كما أخرج مسلم عن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة».

ولها شروط أخرى زائدة على هذه الشروط كالمحبة ...إلخ، ولكن المقصود أن القول بأنها تنفع بلا شروط قول كفري لأن مقتضاه أن يكون المنافقون مؤمنين.

ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رَجُلٍ جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)[١].

---

(١) وصدق رحمه الله تعالى فإن هذا من أنفس ما في هذه الكتاب وهو أنَّ كفار قريش يعلمون أنَّ معنى (لا إله إلا الله) أي: لا يُعبد إلا الله؛ لذلك أبوا أن يقولوها وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] وهذا يدلُّ على أنَّ الكفار الأولين أحسنُ حالًا -في الجملة- من الكفار المتأخرين من خمسة أوجه:

الوجه الأول: أنَّ الكفار المتأخرين يُشركون في الرخاء وفي الشدَّة يزدادون شركًا، بخلاف الكفار الأولين فكانوا يشركون في الرخاء دون الشدة، كما قال سبحانه: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقد حدَّثني بعض الإخوة أنه كان في طائرة فلما قيل إن الطائرة لا يمكن أن تهبط إلى الأرض أخذ الناس يصيحون بنداء البدوي والسيدة زينب، وهذا ما لا يفعله أبو جهل وأبو لهب!

الوجه الثاني: أنَّ المشركين المتأخرين يُشركون حتى بالطالحين والفاسدين كما أشركوا بالبدوي، فإنه لم يُعرف عنه إلا أنه دخل مسجدًا يوم الجمعة فبالَ فيه ثم خرج، وقد ذكر هذا الوجه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه قرة عيون الموحدين.

الوجه الثالث: أنَّ المشركين المتأخرين لا يعرفون معنى لا إله إلا الله، بخلاف الأولين، لذا لما عرفَ معناها الأولون أبوا أن يقولوها بخلاف المتأخرين يخالفونها ويقولونها.

الوجه الرابع: أنَّ مِنَ المشركين المتأخرين من يُشرك في توحيد الربوبية ويقولون: إنَّ الأولياء يتصرفون في الكون وينزلون الأمطار ويسمونهم بالغوث، كغلاة الصوفية والرافضة بخلاف المشركين الأولين (كفار قريش) فقد كانوا مُقرِّين بتوحيد الربوبية في الجملة إلا البعث والنشور، وقد ذكر هذا الوجه الشيخ عبد الرحمن بن حسن في (قرة عيون الموحدين).

الوجه الخامس: أنَّ المشركين الأولين يُقرون بالأسماء كلها إلا اسم الرحمن على خلافٍ بينهم كما أشار لهذا ابن كثير في تفسيره، وأنَّ الكفار المتأخرين منهم من ينكر الأسماء والصفات كلها كالجهمية، ومنهم من ينكر الصفات كلها دون الأسماء كالمعتزلة، ذكره الشيخ سليمان بن عبد الله في مقدمة (تيسير العزيز الحميد).

فهذه خمسة أوجه تدلُّ على أنَّ المشركين الأولين -على سوئهم- أحسنُ حالًا من المشركين المتأخرين، فإذن كُفرُ الكفارِ المتأخرين من باب أولى.

ومما يشهد لقول الإمام المجدد: "فلا خير في رجلٍ جهَّالُ الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)": أنَّ الرافضي أبا جعفر السبحاني عقدَ فصلًا في كتابه (الشرك في القرآن) بعنوان: "الشرك عند الوهابية"، قال فيه:(**نحن نوافق الوهابية بأن كفار قريش كانوا يعتقدون أن**

إذا عرفت ما ذكرت لك، معرفة قلب، وعرفت الشرك بالله الذي قال الله فيه: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) [النساء: ٤٨]، وعرفت دين الله الذي أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا، أفادك فائدتين:

الله هو الخالق والرازق، ولذلك لم يشركوا لأجل توحيد الربوبية وكذلك كانوا يقرون بالأسماء والصفات إلخ، وأيضًا قال: لم يشركوا لأجل صرف عبادة لغير الله ومن قال ذلك فقد أخطأ قال: وإنما أشركوا لأجل أنهم كانوا يعتقدون أن المدبر غير الله فمن اعتقد أن المدبر هو الله وصرف عبادات لغير الله فإنه لا يكون مشركا، أما قول الوهابية أنهم أشركوا لأنهم صرفوا عبادة لغير الله فهذا غير صحيح وإنما أشركوا لاعتقادهم أن المدبر غير الله).

والجواب على كلام هذا الرافضي الخبيث: أنَّ هذا القيل منه يزيدُ العبدَ يقينًا في أنَّ الرافضة أجهل الناس بكتاب الله فقد قال الله سبحانه في سورة [يونس: ٣١]: ﴿**وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ وهذا الرافضي قد كتب هذه الرسالة بزعمه أنه عالم بالقرآن، فيجهل مثل هذه الآية الواضحة!!

الأولى: الفرح بفضل الله ورحمته كما قال الله تعالى: ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ)) [يونس: ٥٨]

و أفادك أيضا: الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، خصوصا إن ألهمك الله ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم; أنهم أتوه قائلين: ((اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)) [الأعراف: ١٣٨]، فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله.[١]

---

(١) وهاتان الفائدتان مهمتان:

الفائدة الأولى: الفرح بنعمة الله، واعلم أن الهداية رحمة واختصاص يمن الله به على من يشاء من عباده، فأسأل الله أن يهديني وإياكم ووالدينا وأزواجنا وأحبابنا برحمته وأن يثبتنا على ما يرضيه حتى نلقى الله.

الفائدة الثانية: أن الرجل قد يقولها – أي: أن الكلمة تخرج من لسانه – وهو جاهل فلا يعذر بالجهل؟ وكلام الإمام المجدد صحيح ولكن في حق المفرط في طلب الحق فمن فرط في طلب الحق فوقع في الشرك فإنه غير معذور وإنما يعذر من لم يفرط، وقد نبه على هذا شيخنا العلامة محمد الصالح العثيمين في مواضع فقال في رسالة (الكفر والتكفير

ص١٩):" لكن إن فرط بترك التعلم والتبين، لم يعذر، مثل أن يبلغه أن عمله هذا كفر فلا يتثبت، ولا يبحث فإنه لا يكون معذورًا حينئذ".

وقال في القول المفيد ص (١٠٥): "واعلم أن اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يتابعهم في ذلك راضيا بقولهم، مقدما له، ساخطا لحكم الله فهو كافر لأنه كره ما أنزل الله، فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله، فهو كافر.

القسم الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضيا بحكم الله، وعالما بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره، كأن يريد مثلا وظيفة، فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق وله حكم غيره من العصاة.

القسم الثالث: أن يتابعهم جاهلا، فيظن أن ذلك حكم الله، فينقسم إلى قسمين:

أ – أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه، فهو مفرط أو مقصر، فهو آثم، لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب – ألا يكون عالما ولا يمكنه التعلم فيتابعهم تقليدا ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به وكان معذور بذلك، ولذلك ورد عن رَسُولُ اللهِّ – ﷺ – أنه قال «إنه مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»، لو قلنا: بإثمه بخطأ غيره، لزم من ذلك

واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء، كما قال الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا)) [الأنعام: ١١٢]،وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال الله تعالى: ((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ)) [غافر: ٨٣]،إذا عرفت ذلك، وعرفت أن الطريق إلى الله لا بد له من أعداء قاعدين عليه، أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين، الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك: ((لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ)) [الأعراف: ١٧]، ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)) [النساء: ٧٦]، والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين كما قال تعالى: ((وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ))[الصافات: ١٧٣] (١)

الحرج والمشقة، ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه. ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره، للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطئه".

(١) فذكر الإمام المجدد أن العامي الموحد قسمان:

فجند الله هم الغالبون، بالحجة واللسان، كما أنهم الغالبون بالسيف والسنان، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح(١)

وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله)) تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ((فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها، كما قال تعالى: ((وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِير)) [الفرقان: ٣٣]، قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.(٢)

القسم الأول: معه سلاح، وهو أسس التوحيد الذي هو الواجب على كل مكلف فهذا لا يُخشى عليه.

القسم الثاني: من ليس معه أسس العلم والتوحيد وهذا هو الذي يخشى عليه لأنه ليس معه سلاح.

(١) قرر ابن القيم والشيخ عبد الله أبا بطين أنَّ أهل الحق منصورون بالحُجَّة والبيان، أما السيف والسنان فإنهم يغلبون تارة ويُغلبون تارة كما كان حال الرسول ﷺ ومن بعده من الصحابة وغيرهم من الصالحين ومن أهل التوحيد.

(٢) ولكن لا يعرف هذا إلا من وفق وكان صاحب علم لذلك ما أحسن ما روى البيهقي في كتابه المدخل إلى السنن الكبرى ص(٢٨٥): "**عن الزعفراني يقول سمعت الشافعي**

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا. فنقول: جواب أهل الباطل من طريقين: مجمل، ومفصل. (١)

أما المجمل:

فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها، وذلك قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ)) [آل عمران: ٧] وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول:(من تعلم علما فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم) "، وذكرها الذهبي في كتابه (السير)، وهي كلمة عظيمة وكلما كان الرجل أكثر تدقيقًا بالعلم وأكثر معرفة بالعلم كان أكثر قيامًا بهذه الآية وهو أنه يرد على الباطل بدليله الذي أتى به، أسأل الله أن يرزقني وإياكم العلم النافع والعمل الصالح إنه هو الرحمن الرحيم.

(١) فذكر الإمام المجدد جوابين: المجمل وخلاصته: رد المشتبه إلى البيِّن المُحكم الواضح وهو: أنَّ من ليس عنده علمٌ يقول: أعرف أنّ ما أنا عليه حق، ودلَّ عليه الكتاب والسنة، ولا أفهم كلام المشبه، فأرد المتشابه إلى المحكم.

قال: "إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم" (١)

مثال ذلك: إذا قال بعض المشركين: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [يونس: ٦٢]، وأن الشفاعة حق، وأن الأنبياء لهم جاه عند الله؛ أو ذكر كلامًا للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره، فجاوبه بقولك:

---

(١) وهذا الحديث من باب الفائدة أصل في هجر أهل البدع؛ لأنه يتكلم عن المبتدعة وهو ما روى الشيخان عن عائشة عن الرسول ﷺ أنه قال: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، ولفظ مسلم: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

وما روى مسلم عن جابر بن عبد اللهَّ قال: قال رسول اللهَّ ﷺ «وكلّ بدعة ضلالة»، وأمثاله من الأحاديث أصل في هجر البدعة وتركها، فنحن مأمورون شرعا بهجر البدعة وتركها وهجر صاحب البدعة وتركهم، والأصل في أصحاب البدع أنهم يهجرون ويبغضون ويعادون إلا إذا غلبت المصلحة على ترك إظهار ذلك، وإلا فإن الأصل أنهم يهجرون، فقد ذكر العلماء إجماعات أهل السنة على هجر أهل البدع واحتقارهم وإذلالهم إلى غير ذلك، ويدل عليه حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا المتقدم.

إن الله تعالى ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه. وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية، وأن كفرهم بتعلقهم بالملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ((هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) [يونس: ١٨]، هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغير معناه، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله.

وهذا جواب جيد سديد، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله، فلا تستهن به، فإنه كما قال تعالى: ((وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)) [فصلت: ٣٥].(١)

أما الجواب المفصل: فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل، يصدون بها الناس عنه،(٢)

منها قولهم: نحن لا نشرك بالله، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا ﷺ لا يملك لنفسه

---

(١) هذا مثال لشبهة ذكرها الإمام المجدد وأجاب عنها بجواب مجمل.

(٢) سيذكر الشيخ الجواب المفصل وقد بدأ بثلاث شبهات ثم بيَّن أنَّ هذه الشبهات الثلاث هي أهمها ثم استطرد في ذكر شبهات أخرى.

نفعا ولا ضرا، فضلا عن عبد القادر أو غيره، ولكن أنا مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم. فجاوبه بما تقدم: وهو أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت، ومقرون أن أوثانهم لا تدبر شيئا، وإنما أرادوا الجاه والشفاعة. واقرأ عليه ما ذكره الله في كتابه ووضحه.[١]

فإن قال:[٢] هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام! كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناما؟ فجاوبه بما تقدم.

فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة - ولكن أراد أن يفرق بين فعله وفعلهم بما ذكر -، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء

---

(١) ومعناه: يقول أنا اعتقد أن هؤلاء لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، لكنني مذنب فلذلك أجعلهم واسطة لي عند الله، والجواب: أن هذا هو عين فعل المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ وكفرهم ولم يكن عذرا لهم.

(٢)- هذه هي الشبهة الثانية -.

الذين قال الله فيهم: ((أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ)) [الإسراء: ٥٧]،(١)

---

(١) وهذه الآية أصل في كل من عبد صالحا ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية ويبينه ما في البخاري: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال في هذه الآية: ﴿**الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾ [الإسراء: ٥٧] قال: " كان ناس من الجن يعبدون فأسلموا" أي فأسلم الجن واستمر الإنس على عبادتهم فهذه الآية أصل في الرد على كل من عبد أناسا من الصالحين لأنهم صالحون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الرد على البكري (٢/ ٥٣٨) - وللعلم إن في كتاب الرد على البكري فوائد جليلة تتعلق بتوحيد الإلهية وقد أثنى عليه العلامة الألباني وأوصى بقراءته لمن أراد أن يدرس توحيد الإلهية -: "**وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله ما معنى لفظ الخبز فيريه رغيفا فيقول هذا، فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، وهذا موجود في الملائكة والجن والإنس وقد اختار الطبري قول من فسرها بالملائكة أو بالجن، لأنهم كانوا في زمن النبي ﷺ يبتغون إلى ربهم الوسيلة بخلاف المسيح والعزير فإنهما لم يكونا موجودين**

ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ((مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآياتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)) [المائدة: ٧٥]

واذكر له قوله تعالى: ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)) [سبأ: ٤١] وقوله تعالى: ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ

على عهده فلم يكونا حينئذ ممن يبتغي الوسيلة إذ ابتغاء الوسيلة: العمل بطاعة الله تعالى والتقرب إليه بالصالح من الأعمال، فأما من كان لا سبيل له إلى العمل فبم يبتغي إلى ربه الوسيلة، وهذا الذي قاله إن كان صوابا فهو أبلغ في النهي عن دعاء المسيح وعزير وغيرهما من الأموات من الأنبياء والصالحين فإنه إذا كان الحي الذي يتقرب إلى ربه بالعمل لا يجوز دعاؤه، فدعاء الميت الذي لا يتقرب بالعمل أولى أن لا يجوز، وإن كانت الآية تعم هذا وهذا، فهي دالة على ذلك، فدلالتها ثابتة على كل تقدير، والصحيح أنها تعم هؤلاء وهؤلاء، وذلك أن هؤلاء كانوا في حياتهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهو لم يقيد ذلك بزمن النزول بل أطلق ".

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)) [المائدة: ١١٦]فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر أيضا من قصد الصالحين، وقاتلهم رسول الله ﷺ.(١)

فإن قال (٢): الكفاريريدون منهم. و أنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر، لا أريد إلا منه، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء، ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم، فالجواب أن هذا قول الكفارسواء بسواء، و اقرأ عليه قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)) [الزمر: ٣] وقوله تعالى: ((وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)) [يونس: ١٨] واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم. فإذا عرفت أن الله وضحها لنا في كتابه، وفهمتها فهما جيدا، فما بعدها أيسر منها.(٣)

---

(١) فأراد الإمام المجدد أن يبين أن الكفار عبدوا الصالحين وكفروا بذلك لا كما تظن، وضرب مثلا عاما بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، ثم ذكر أدلةً خاصة في عيسى ﷺ وفي أمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفي الملائكة.

(٢) – هذه الشبهة الثالثة –.

(٣) **فقد قال المشرك**: إنَّ هؤلاء الكفار يريدون منهم أما أنا فأريد الواسطة **فقال له الإمام المجدد**: بل كفار قريش يريدونهم واسطة ففعلك كفعلهم.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله. وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة.(١)

فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم. فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده، وهو حقه عليك. فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها، فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ((ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً)) [الأنعام: ٦٣]. فإذا أعلمته بهذا. فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول: نعم. والدعاء من العبادة.(٢)

ولا فرق بين كلام المشرك في الأولى والثالثة إلا في أنه صرح بإرادة واسطة ونسب إلى كفار قريش خلاف ذلك، أما في الأولى فيقول: نحن مسلمون وهؤلاء ليسوا مسلمين.

(١) هذه هي الشبهة الرابعة وفي ظني -والله أعلم- أنها قوية كالشبه الثلاث الأول، وهي شائعة ومنتشرة عندهم، وذلك أنهم يقولون: إن صرف العبادة لغير الله شرك لكننا لا نصرف عبادة لغير الله، بل نحن ندعوهم ونذبح لهم وليس هذا صرف عبادة لغير الله -

(٢) أي: أن الله أمر بالدعاء فإذن لا بد أن الدعاء عبادة.

فقل له: إذا أقررت أنها عبادة، ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا، ثم دعوت في تلك الحاجة نبيا أو غيره، هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أنه يقول: نعم.(١)

فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: ((فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)) [الكوثر: ٢]، وأطعت الله، ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: إذا نحرت لمخلوق: نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر ويقول: نعم.

وقل له أيضا: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم.

فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح، والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيده وتحت قهره، وأن الله هو الذي

---

(١) وهذا جواب دقيق وسهل فقل له: أنت تدعو الله ليلًا ونهارًا، أولست ترجو الأجر من وراء هذا الأمر فلابد أن يقول: بلى، فقل له: ألست تعبد الله؟ فسيقول: بلى، فقل له: لو دعوت في الوقت نفسه نبيًا فقد صرفت عبادة لغير الله.

يدبر الأمر، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدا.[١]

---

(١) **هذا جواب دقيق عن هذه الشبهة من جهتين:**

الجهة الأولى: قل له: أنت تدعو الله ليلا ونهارا، فهل تتعبد الله بهذا؟ فسيقول: نعم، فقل له: لو صرفت هذا الدعاء لغير الله ألست بذلك قد صرفت عبادة لغير الله فسيقول: بلى.

الجهة الثانية: قل له: أليس كفار قريش قد أشركوا بعبادة الصالحين؟ فسيقول: بلى

فقل له: بين لي كيف أشركوا فسيقول: بأن ذبحوا لغير الله ودعوا غير الله فقل له: كذلك أنت إذا فعلت فعلهم صرت مشركا مثلهم، وهذا كلام نفيس عظيم يكتب بماء الذهب مع سهولته ووضوحه فرحم الله الإمام المجدد رحمة واسعة.

فائدة: تُعرف العبادة بأمور منها:

أولًا/ أنها كل فعل يحبه الله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة العبودية (ص: ٤٤):

" العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله".

وهذا الذي يحبه إما أنه مأمور به على وجه الإلزام وهو واجب، أو أنه مأمور به على غير وجه الإلزام فهو مستحب، أما من جهة الترك فإنه إن أمر به على وجه الإلزام فهذا محرم، أو أمر بتركه على غير وجه الإلزام فهذا مكروه. قال شيخ الإسلام في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة): "**والعبادات لا تكون إلا واجبة أو مستحبة، فما ليس بواجب ولا مستحب فليس بعبادة**". ولا يوجد في الدين تعبد بمباح، لأن حكم التعبد بالمباح لذاته أنه بدعة ذكر هذا شيخ الإسلام في المسودة والمجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى، وذكره ابن القيم في كتاب (أعلام الموقعين).

ولا يتعبد بالمباح إلا في حال واحدة أن يستعان به على طاعة الله، أي: يتعبد به لغيره، ففي البخاري عن أَبي بُرْدة، قال معاذ: " **أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**". **أي**: أرجو الأجر بنومي كما أرجو النوم بقومي، والنوم في الأصل مباح ولكن صار عبادة إذا استعين به على طاعة الله.

ثانيًا/ أن الله أمر به.

ثالثًا/ علق الإيمان عليه.

رابعًا/ جعله شعبة من شعب الإيمان.

خامسًا/ رتب عليه أجرًا، إلى غير ذلك من الألفاظ الشرعية العديدة، فما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر.

تنبيهات:

التنبيه الأول: الأعمال التي يُتعبَّد بها نوعان:

النوع الأول: ما لا يأتي إلا عبادة كالذبح والنذر، فإنه لا يكون إلا عبادة لله وصرفه لغير الله شرك أكبر.

النوع الثاني: ما يأتي عبادة وغير عبادة كالدعاء، ومعناه في اللغة النداء، فإنه يكون لله وللمخلوقين قال تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا**﴾ [النور: ٦٣] فدل هذا على أن الدعاء يكون لله ولغيره، لذا ليس كل دعاء شركًا إلا إذا كان في أمر خاص بالله إما في جهة المتعبد نفسه بأن يدعي مع كمال الذل مع كمال المحبة وهذا خاص بالله.

أو من جهة المطلوب: وهو طلب أمر لا يقدر عليه إلا الله كالذي يطلب من الولي الفلاني أن يدخله الجنة وينجيه من النار، وهذا أمر خاص بالله، أو طلب من مخلوق ما لا يمكن أن يقوم به المخلوقون لعدم سماعه الدعاء، كدعاء البعيدات، قال ابن تيمية في الإخنائية: أن اتساع السمع أي سماع البعيدات خاص بالله سبحانه فلو جلس رجل في الرياض ويدعو

رجلا في الخرج أو على مسافة بصوت منخفض: يا فلان أعطني كذا فقد وقع في الشرك؛ لأن هذا يعتقد أن فلانا يسمع البعيدات وهذا خاص بالله أو أن فلانا يعلم الغيب وهذا خاص بالله سبحانه.

التنبيه الثاني: يستشكل بعض الملبسين على أن دعاء الأموات شرك بأن الدعاء هو النداء، وفي البخاري أن النبي ﷺ قال: (وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ) فهذا دعاء، وقد رد على مثل هذا العالم المحقق محمد بشير السهسواني في كتابه صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ص (٢٨٦) -فقال: "فإن النزاع إنما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب، بأن يقول: يا رسول الله اكشف عني السوء واشف مريضي، أو يقول: يا رسول الله ادع الله أن يشفي مريضي ويكشف عني السوء".

والدعاء الشركي للأموات هو الدعاء المقرون بطلب، أما النداء غير المقرون بطلب لا حقيقة ولا حكمًا فليس شركا، لذا المرأة الرافضية عند اشتداد كرب الولادة تقول: يا حسين يا حسين أو يا علي يا علي ولم تذكر طلبًا، لكن الطلب متضمن بأنها تقول فرج عني وسهل علي، فهذا طلب حكمي لا حقيقي وهو شرك أكبر. وذكر نحوا من هذا الإمام ابن تيمية في منهاج السنة.

التنبيه الثالث: والعبادة لغة مأخوذة من الذل قال ابن الجوزي في كتابه زاد المسير (٨/ ٤٣): "**ومعنى العبادة في اللغة الذل والانقياد**" وذكره غيره كالشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف بن حسن وغيرهم، وابن تيمية في مواضع من كتبه وابن القيم في النونية وفي مدارج

فإن قال: أتنكر شفاعة رسول الله ﷺ وتبرأ منها؟ فقل: لا أنكرها. ولا أتبرأ منها، بل هو ﷺ الشافع المشفّع وأرجو شفاعته.

ولكن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى: ((قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)) [الزمر: ٤٤]

ولا تكون إلا من بعد إذن الله. كما قال: ((مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ)) [البقرة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال: ((وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)) [الأنبياء: ٢٨]. وهو لا يرضى

السالكين، وأحيانا يفسر العلماء العبادة بالذل والخضوع لأنهما متفقان في الدلالة على هذا الأمر المعين، وإن كان لا يوجد-غالبًا- في لغة العرب كلمتان متطابقتان من كل وجه كما ذكر هذا ابن تيمية في أصول لتفسير لكنهما قد يجتمعان في تفسير أمر، وإن كانت الكلمتان ليستا بمعنى واحد من كل وجه، لذا معنى: لا شك فيه: لا ريب فيه، فاجتمع الشك والريب في بيان المعنى وإن كان الريب مخالفًا للشك من جهة فليس الريب والشك بمعنى واحد من كل وجه.

وليس معنى أن العبادة كمال الذل مع كمال المحبة أنه لا بد أن يستحضرا عند كل عبادة بل يكفي أن يوجد في أصل الفعل بالقلب كمال الذل مع كمال المحبة.

إلا التوحيد كما قال: ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ)) [آل عمران: ٨٥].

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد.

تبين لك أن الشفاعة كلها لله، فأطلبها منه فأقول: اللهم لا تحرمني شفاعته، اللهم شفعه في، وأمثال هذا. (١)

---

(١) هذه الشبهة الخامسة، وما زالوا يرددونها إلى اليوم فإذا قلت: لا أجعل النبي ﷺ واسطة بيني وبين الله قالوا: إذن أنت تنكر شفاعة النبي ﷺ.

وخلاصة جواب هذه الشبهة نفي إنكار الشفاعة، ولكن الشفاعة ملك لله، كما قال تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] وقد بين الله أن الشفاعة لا تكون لأحد إلا بعد توافر شرطين: الإذن للشفاعة، والرضى عن المشفوع فيه.

والرضى نوعان:

النوع الأول: رضى عامٌ وهو أنْ يكونَ العبدُ موحدًا كَمَا أخرج البخاري: عن أبي هريرة أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على

الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله، خالصا من قلبه، أو نفسه».

النوع الثاني: رضى خاص والناس متفاوتون فيه بحسب قيامهم بطاعة الله سبحانه وتعالى.

وليُعلم أن الفائدة من الشفاعة إظهار منزلة الشافع فإذا قال ملك من ملوك الدنيا: أنا لا أقبل حاجاتكم هذه إلا بعد أن يشفع لكم فلان، إذن فهي إظهار لمنزلته، لذلك سماها المقام المحمود، فقال تعالى: ﴿**عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩] لأن الشافع وحده ﷺ في الشفاعة العظمى يوم القيامة.

فائدة: أركان الشفاعة ثلاثة:

الركن الأول: المشفوع إليه.

الركن الثاني: المشفوع فيه أو له.

الركن الثالث: الشافع.

وأما الشفاعة عند الله -ولله المثل الأعلى-: الشافع هو: النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين، كما في مسلم عن أبى سعيد الخدريّ قال رسول اللهّ ﷺ: «فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين».

والمشفوع فيه أو له: من رضيَ الله قوله وعمله

فإن قال: النبي ﷺ أُعطي الشفاعة، وأنا أطلبه مما أعطاه الله. فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا. فقال: ((فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) [الجن: ١٨]. فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله ((فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا)) [الجن: ١٨]. (١)

وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ فصح أن الملائكة يشفعون، والأولياء يشفعون، والأفراط يشفعون، أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم، فإن قلت هذا، رجعت إلى عبادة

والمشفوع إليه: الله سبحانه.

(١) هذه الشبهة السادسة: فإن قال المشرك: فإن الله أعطى النبي ﷺ الشفاعة فأنا أطلبها ممن أعطاها الله؟ فالجواب، إنه لا بد في الشفاعة من الرضى ومن الإذن -كما تقدم- وإلا لن تتم.

الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا، بطل قولك: أعطاه الله الشفاعة و أنا أطلبه مما أعطاه الله.[١]

فإن قال: أنا لا أشرك بالله شيئا، حاشا وكلا؛ ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك. فقل له: إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنى وتقر أن الله لا يغفره، فما هذا الأمر الذي حرمه الله وذكر أنه لا يغفره؟ فإنه لا يدري. فقل له: كيف تبرئ نفسك من الشرك و أنت لا تعرفه؟

أم كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

فإن قال: الشرك عبادة الأصنام. ونحن لا نعبد الأصنام.

فقل له: ما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن. وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرا أو بنية على قبر أو غيره

---

(١) وهذا جواب دقيق، والمراد بالأفراط أي: السقط من الأولاد الذين سقطوا من أرحام أمهاتهم، فيقول الإمام المجدد لهذا المشرك: أنت ما بين أمرين: إما أن تقول: أطلب الشفاعة، فرجعت إلى عبادة الصالحين وإلا قلت: لا أطلبها فتكون قد حججت بهذا.

يدعون ذلك، ويذبحون له ويقولون: إنه يقربنا إلى الله زلفى، ويدفع الله عنا ببركته، أو يعطينا ببركته.

فقل: صدقت ; وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبور وغيرها. فهذا أقر أن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام، وهو المطلوب. ويقال له أيضا: قولك الشرك عبادة الأصنام، هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يرده ما ذكره الله في كتابه من كفر من تعلق على الملائكة أو عيسى أو الصالحين، فلا بد أن يقر لك أن من أشرك في عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن. وهذا هو المطلوب.

وسر المسألة: أنه إذا قال: أنا لا أشرك بالله.[١]

فقل له، وما الشرك بالله؟ فسره لي.

---

(١) -هذه الشبهة السابعة- وقوله: وسر هذه المسألة: أي حقيقة هذه المسألة وأصلها أنه هل يعرف المشرك الشرك أو لا يعرفه؟ فإن كان لا يعرفه فكيف يقول: إنه غير مشرك وهو لا يعرف الشرك، فكيف ينفي شيئا لا يعرفه، وإن كان لا يعرفه معرفة صحيحة فبين له المعنى الصحيح.

فإن قال: هو عبادة الأصنام.

فقل: وما معنى عبادة الأصنام؟ فسرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده.

فقل: ما معنى عبادة الله وحده؟ فسرها لي. فإن فسرها بما بينه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرفه، فكيف يدعي شيئا وهو لا يعرفه، وإن فسر ذلك بغير معناه، بينت له الآيات الواضحات في معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان، و أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأن عبادة الله وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ((أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)) [ص: ٥].

فإن قال: هذه الشبهة الثامنة -: إنهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، و إنما يكفرون لما قالوا: الملائكة بنات الله; فإنا لم نقل عبد القادر ابن الله ولا غيره.[١]

فالجواب أن نسبة الولد إلى الله كفر مستقل. قال الله تعالى: ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ)) [الإخلاص: ٢] والأحد: الذي لا نظير له.

---

(١) هذه الشبهة الثامنة: أنهم يقولون إن كفار قريش لم يكفروا لأنهم صرفوا عبادة لغير الله وإنما كفروا لأنهم قالوا: إن الملائكة بنات الله.

والصمد: المقصود في الحوائج. فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السورة. وقال الله تعالى: ((مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ)) [المؤمنون: ٩١] ففرق بين النوعين، وجعل كلا منهما كفرا مستقلا، وقال تعالى: ((وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ)) ففرق بين كفرين.[1]

---

(١) فبين أن هذا كفر مستقل، وهذا كفر مستقل قال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فجعل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ مكفرًا، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ مكفرًا ثانيًا. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فجعل ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ مكفرًا ﴿وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مكفرًا ثانيًا.

والدليل على هذا أيضا: أن الذين كفروا بدعاء اللات مع كونه رجًلا صالحًا لم يجعلوه ابن الله، والذين كفروا بعبادة الجن لم يجعلوهم كذلك.

فيرد على المشرك بقول: أنت تعرف أن هؤلاء كفروا بصرف عبادات لغير الله ولم يقولوا إن لله ولدا، ومع ذلك كفروا.

وكذلك أيضا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في (باب حكم المرتد) أن المسلم إذا زعم أن لله ولدا فهو مرتد، وإن أشرك بالله فهو مرتد ويفرقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.(١)

وإن قال: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)) [يونس: ٦٢] فقل: هذا هو الحق؛ ولكن لا يُعْبَدون.

ونحن لم نذكر إلا عبادتهم مع الله وشركهم معه. وإلا فالواجب عليك حبهم و اتباعهم، والإقرار بكرامتهم.

ولا يجحد كرامات الأولياء إلا أهل البدع والضلال. ودين الله وسط بين طرفين، وهدى بين ضلالتين، وحق بين باطلين.(٢)

---

(١) وجه الاستدلال بهذا أنه استدلال بالإجماع.

(٢) هذه الشبهة التاسعة: ليس حصول كرامات لهم مسوغًا لعبادتهم فقوله تعالى ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فقال: هذا حق ولكن لا يعبدون وهذا كلام عظيم.

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا (كبير الاعتقاد) هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله ﷺ الناس عليه.[١]

فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أن الأولين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء والأوثان مع الله إلا في الرخاء. وأما في الشدة فيخلصون لله الدعاء. قال تعالى:))فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ((العنكبوت: ٦٥]

وقال تعالى: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الأِنْسَانُ كَفُورًا} [الإسراء: ٦٧]

وقوله: {قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [الأنعام: ٤١]

وقوله: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ

---

(١) ومراده بالاعتقاد: أنهم يعتقدون أنه يصح أن يدعى هذا الرجل من دون الله ليشفع لهم عند الله.

قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} [الزمر: ٨] وقوله: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [لقمان: ٣٢]

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله في كتابه. وهي أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله ويدعون غيره في الرخاء.

وأما في الضراء والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم، تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.

ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهما راسخا؟ والله المستعان.(١)

الأمر الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله: إما أنبياء وإما أولياء، وإما ملائكة. أو يدعون أشجارا أو أحجارا مطيعة لله ليست عاصية.

---

(١) وهذا الفرق ذكره الإمام المجدد في أواخر القواعد الأربع فقال: **القاعدة الرابعة**: أن مشركي زماننا أغلظ شركا من الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقد تقول: إن القواعد الأربع كالأصل لكتاب كشف الشبهات لأن كثيرا من الشبهات يرجع في جوابها إلى القواعد الأربع.

وأهل زماننا يدعون مع الله أناسا من أفسق الناس.

والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنى والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك.

والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به.(١)

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله ﷺ أصح عقولا، وأخف شركا من هؤلاء.

فاعلم أن لهؤلاء (شبهة) وهذه هي الشبهة العاشرة - يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فاصغ سمعك لجوابها.

وهي أنهم يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن (لا إله إلا الله) ويكذبون الرسول ﷺ، وينكرون البعث، ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله،

---

(١) ذكر الإمام المجدد أن المعبودات الباطلة من دون الله أقساما ثلاثة: الصالح والطالح ومن لا ينسب له لا صلاح ولا طلاح، والمشركون الأولون إنما يعبدون الصالحين أو من لا ينسب له صلاح ولا فساد وما كانوا يعبدون الطالحين.

وقد تقدم ذكر الفروق بين المشركين المتأخرين والأولين.

ونصدق القرآن، ونؤمن بالبعث. ونصلي; ونصوم. فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟

فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدَّق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة، أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة، أو أقر بهذا كله وجحد الصوم، أو أقر بهذا كله وجحد الحج.

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج، أنزل الله في حقهم: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧][(١)]

---

(١) هذه الشبهة العاشرة، وخلاصتها أنهم يقولون: لا تقسنا على الكفار الأولين فنحن مسلمون نطقنا بالشهادتين فكيف يكفر الرجل بعد إسلامه، ويقاس على من لم ينطق بالشهادتين، والجواب عن هذا بما ذكره الإمام المجدد في مقدمة القواعد الأربع وهو أنه قاس إحباط الشرك للعبادة بالحدث الذي يحبط الطهارة والصلاة، وهو أن الحدث يبطل الطهارة والصلاة وكذلك الشرك يبطل الإسلام.

أما خلاصة الجواب الذي ذكره الإمام في جواب هذه الشبهة العاشرة: أنه بالإجماع من أقر ببعض الدين وجحد البعض الآخر فإنه كافر لذا قال: إنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن

ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا} النساء: ١٥١

من أقر بشيء من الدين وجحد شيئا من الدين كفر، أما سبب نزول قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٧] فقد قال السيوطي في الدر المنثور(٢/ ٢٧٦): "**وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن عكرمة قال: لما نزلت ومن يبتغ غير الإسلام دينا الآية قالت الملل: نحن المسلمون فأنزل الله ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين فحج المسلمون وقعد الكفار، وأخرج عبد بن حميد والبيهقي في سننه عن مجاهد قال: لما نزلت هذه الآية ومن يبتغ غير الإسلام دينا الآية قال أهل الملل كلهم: نحن مسلمون فأنزل الله ولله على الناس حج البيت قال: يعني على المسلمين حج المسلمون وترك المشركون**" ونسبه إلى مجاهد وعكرمة فهو مرسل، والمرسل قسم من أقسام الضعيف، وقد أجاب الإمام المجدد على هذه الشبهة بعدة أجوبة:

الجواب الأول: أن من آمن ببعض وكفر ببعض أو أقر ببعض أو جحد ببعض فإنه كافر، وذكر أمثلة من العبادات العملية كالصلاة والصوم لأنه أسهل في التصور.

فإذا كان الله قد صرح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا، و أنه يستحق ما ذكر، زالت الشبهة.

وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الإحساء في كتابه الذي أرسله إلينا.

ويقال أيضًا[١]: إن كنت تقر أن من صدق الرسول ﷺ في كل شيء، وجحد وجوب الصلاة، إنه كافر حلال الدم والمال بالإجماع، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث.، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، وصدق بذلك كله، لا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فكيف إذا جحد الإنسان شيئا من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر؟ سبحان الله ما أعجب هذا الجهل.[٢]

---

(١) **الجواب الثاني**: أن من صدق الرسول ﷺ في شيء وكذبه في شيء كفر، ومن آمن ببعض ما جاء به دون بعض كفر.

(٢) وهذا فرع عن الجواب الثاني ولكن خصصه بالتوحيد.

ويقال أيضا[١]: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة ; وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويؤذنون ويصلون.

فإن قال إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي، فقل هذا هو المطلوب. إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف؟ أو صحابيا أو نبيا إلى مرتبة جبار السماوات والأرض. سبحان الله ما أعظم شأنه! {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٥٩][٢]

---

(١) الجواب الثالث.

(٢) تأملوا هذا الجواب العظيم – وهو الجواب الثالث–فكأن المخالف يقول: اتقوا الله ولا تقيسوا حالنا بهؤلاء فإن هؤلاء يقولون: إن مسيلمة نبي فكفروا لأجل هذا، ونحن لم نقل ذلك؟

فأجاب بجواب بديع وهو أنه إذا كان من جعل رجلا نبيًا كفر– أي: من رفع رجلا إلى درجة الأنبياء كفر – فكيف بمن رفع رجلًا إلى درجة جبار السماوات والأرض فهو أولى أن يكفر.

ويقال أيضا: الذين حرقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار كلهم يدعون الإسلام، وهم من أصحاب علي، وتعلموا العلم من الصحابة، ولكن اعتقدوا في علي مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين؟ أم تظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر؟[١]

ويقال أيضا: بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العباس كلهم يشهدون أن " لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " ويدعون الإسلام; ويصلون الجمعة والجماعة، فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأن بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين. [٢]

---

(١) الجواب الرابع: استدلال بفعل الصحابة فقد كفر علي بن أبي طالب من اعتقد فيه منزلة الربوبية، إذن من اعتقد فيمن هو دون علي يكفر من باب أولى، ثم يكمل الرد بقول: هل يصح القول إن الصحابة كفروا المسلمين؟ وهم ما كفروا مسلما بل كفروا من كفر بعد إسلامه.

(٢) الجواب الخامس وهو استدلال بالإجماع؛ وذلك أن العلماء بالإجماع كفروا بني عبيد القداح وأنتم تقولون لا يكفر الرجل بعد إسلامه.

ويقال أيضا: إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول والقرآن و إنكار البعث وغير ذلك، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب: (باب حكم المرتد)؟ وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه.(١)

ثم ذكروا أنواعا كثيرة، كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه; أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب(٢).

---

(١) الجواب السادس: وهو أنه بالإجماع أن الرجل يكفر بعد إسلامه، ويأخذ حكم المرتد، وإلا ما معنى ذكر العلماء باب حكم المرتد، فلما ذكر العلماء باب حكم المرتد، فدل على أن المعين يكفر بعد إسلامه إذا وقع فيما يوجب الكفر وتوافرت في حقه الشروط وانتفت عنه الموانع. وقوله: أشياء دون ما نحن فيه، أي: أنهم لم يصرفوا عبادة لغير الله، وإنما وقعوا فيما دون ذلك فكفروا فكفر من يصرف عبادة لغير الله من باب أولى.

(٢) يريد -والله أعلم -بقوله: مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أي أن بعض الناس قد يقول كلمة كفرية من غير اعتقاد، فيكفر إذا كانت الكلمة كفرا من كل وجه، فمثلًا من سب الله وهو لا يريد الكفر فهو كافر، لأن سب الله كفر من كل وجه ولا ينظر لاعتقاد الرجل، بخلاف الكلام المحتمل فيرجع إلى اعتقاد المتكلم؛ لذا لما قيل للإمام أحمد: إن مؤذنًا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله، فقال له رجل كذبت، فقيل أيكفر هذا الرجل الذي قال

كذبت قال: لا، لعله يريد إنك تكذب في شهادتك أيها المؤذن أن محمدا رسول لا أنه يقول كذبت في أن محمدا رسول الله، قال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد (٥/ ٤٩) "**سئل أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رجل سمع مؤذنا يقول: أشهد أن محمدا رسول الله فقال: كذبت هل يكفر؟ فقال: "لا لا يكفر لجواز أن يكون قصده تكذيب القائل فيما قال لا في أصل الكلمة فكأنه قال: أنت لا تشهد هذه الشهادة كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**".

فيريد -والله أعلم- أن الرجل يكفر إذا قال كلاما كفريا كالسب فلا ينظر إلى اعتقاده بشرط أن يعلم أن كلامه سب، فإذا قال بعض المؤذنين: (الله أكبار) فهذا كلام كفر لأن أكبار جمع كبر وهو الطبل، كما ذكر هذا المعنى ابن قدامة في المغني والنووي في المجموع، لكن لا يكفر من قال هذه الكلمة، لأنه لا يعلم أنها سب لله، ففرق بين أن يشترط معرفة أن مدلول كلامه سب وبين قول إن ساب الله يعذر بجهله **فيقال:** إن من سب الله وهو يعلم أن كلامه سب لا يعذر بجهله، وهذا قول ابن حزم وابن تيمية في الصارم المسلول وظاهر كلام الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد؛ وذلك لأن السب لا يتصور منه التنزيه فهو لا يطلق إلا انتقاصا لله، بخلاف الذي يصرف عبادة لغير الله فيتصور فيه الجهل، وذلك لسبب وهو أنه يفعله بزعم التنزيه فيقول: أنا مذنب ومقصر فأذهب إلى الصالحين ليشفعوا لي عند الله،، أما الذي يسب ويستهزئ بالله أو بدينه أو برسوله، فهذا لا يتصور منه التنزيه فصاحبه كافر سواء كان جاهلًا أو عالمًا بشرط أن يعلم أن كلامه سب..

ويقال أيضا: الذين قال الله فيهم: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ} [التوبة: ٧٤]، أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ، ويجاهدون معه ويصلون ويزكون ويحجون ويوحدون؟ وكذلك الذين قال الله فيهم: ((قُلْ أَبِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ)) [التوبة: ٦٦] فهؤلاء الذين صرح الله في أنهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح، فتأمل هذه الشبهة وهي قولهم: تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن (لا إله إلا الله)، ويصلون ويصومون ; ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع ما في هذه الأوراق.[1]

---

(١) الجواب السابع -وهو جواب قوي ومختصر- فقد ذكر من القرآن ما يدل على أن الرجل يكفر بعد إسلامه؛ فإذن قد يكفر الرجل بعد إسلامه.

ولو قدر أن الإمام بدأ بهذا الوجه لكان أفضل في اجتثاث هذه الشبهة؛ لأن الله كفرهم بعد إسلامهم، وكفرهم بعد إيمانهم، يقول ابن تيمية: لم يكذب الله قولهم إنما كنا نخوض ونلعب، فدل هذا على أنهم كانوا يخوضون ويلعبون فكفروا مع ذلك، فدل هذا على أن من سب الله خائضا ومازحا غير جاد فهو كافر، فالجاد من باب أولى وذكر ابن تيمية أن الآية نزلت في الاستهزاء ففي السب من باب أولى.

ومن الدليل على ذلك أيضا: ما حكى الله عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم; أنهم قالوا لموسى: ((اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ)) [الأعراف: ١٣٨]، وقول أناس من الصحابة: "اجعل لنا ذات أنواط فحلف النبي ﷺ أن هذا نظير قول بني إسرائيل: اجعل لنا إلها".(١)

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة: وهي أنهم يقولون: إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا. فالجواب أن نقول: إن بني

قال في كتابه الصارم المسلول (ص ٣٧): " قوله سبحانه: ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن: إنما كنا نخوض ونلعب قل: أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى، وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله ﷺ جادا أو هازلا فقد كفر".

(١) الجواب الثامن ومعناه: أنهم يكفرون بهذا كما كفر بنو إسرائيل، فبهذا أجاب على الشبهة العاشرة بعشرة أجوبة.

إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا ذلك. ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا.(١)

وكذلك لا خلاف في أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه و اتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها، فتفيد التعلم والتحرز، ومعرفة أن قول الجاهل (التوحيد فهمناه) أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان.(٢)

---

(١) الشبهة الحادية عشرة، وهي اعتراض من هؤلاء المشركين على الاستدلال بهذه القصة بأن قالوا: إنهم لم يكفروا وأنت كفرت فالجواب: أن هؤلاء لم يفعلوا ولكن لو فعلوا كفروا، أي: لو اتخذوا ذات أنواط يعبدونها من دون الله لكفروا، وقد ذكر ابن الأثير في النهاية أن ذات أنواط: **اسم شجرةٍ بعينها كانت للمشركين يَنُوطون بها سِلاحَهم: أي يُعَلِّقونه بها ويَعْكُفون حَوْلَها فسألوه أن يَجْعل لهم مثلها فنَهاهم عن ذلك.**

(٢) ففي كلام الإمام المجدد إعذار بالجهل فإذا جمعت هذا مع قوله، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب. وقوله: فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، قلت: لم يعذر المفرط، وعذر غير المفرط، لذا قال الإمام المجدد في الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٠٤):" **وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم، الذي على عبد القادر، والصنم الذي على**

وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفروهو لا يدري، فنبه على ذلك فتاب من ساعته، أنه لا يكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ، وتفيد أيضا أنه لو لم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدًا، كما فعل رسول الله ﷺ.(١)

قبر أحمد البدوي، وأمثالها، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل؟: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾". وقال في رسالته لأهل القصيم لما قيل له: إنك تكفر ابن عربي الطائي النكرة الاتحادي قال: "سبحانك هذا بهتان عظيم". وعلق على هذا الشيخ العلامة صالح الفوزان في شرح رسالته لأهل القصيم: إما لأنهم جهال أو لا يعلم ما خاتمتهم. فكلام الإمام المجدد إذا جمع فقد يقال ما ذكره الشيخ العلامة محمد العثيمين في شرحه على كشف الشبهات (ص٢٠):"تعليقنا على هذه الجملة من كلام المؤلف رحمه الله: أولًا: لا أظن الشيخ رحمه الله لا يرى العذر بالجهل، اللهم إلا أن يكون منه تفريط بترك التعلم، مثل أن يسمع بالحق فلا يلتفت إليه ولا يتعلم، فهذا لا يعذر بالجهل، وإنما لا أظن ذلك من الشيخ لأن له كلامًا آخر يدل على العذر بالجهل".

(١) إذن فهناك فرق بين تكفير الرجل والإنكار عليه، فقد ذكر الإمام المجدد في كتاب التوحيد باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ما رواه الإمام أحمد عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة، أراه قال من صفر، فقال: «ويحك ما هذه؟» قال: من الواهنة؟ قال: «أما إنها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك؛

وللمشركين شبهة أخرى يقولون: "إن النبي ﷺ أنكر على أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قتل من قال لا إله إلا الله". وكذلك قتله بعد ان قال: لا إله إلا الله، وكذلك قوله: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" وأحاديث أخر في الكف عمن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل ولو فعل ما فعل.[١]

فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا». وقال في مسائل هذا الباب: الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة. أي: في الإنكار لذا أشار لهذه الفائدة أنه يغلظ على الرجل وينكر عليه.

(١) الشبهة الثانية عشرة، يريدون بها أن الرجل لا يكفر بعد إسلامه؛ وذلك أن النبي ﷺ أنكر وشدد على أسامة في قتله رجلًا بعد ما قال: لا إله إلا الله، **فيقال:** قد سبق ذكر الأدلة في أن الرجل قد يكفر بعد إسلامه كما قال الله تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلامِهِمْ**﴾ [التوبة: ٧٤] ولا يصح الاعتراض بإنكار الرسول ﷺ على أسامة؛ وذلك أن البحث جار فيمن يقول: لا إله إلا الله ثم يفعل مكفرًا أما من يقولها دون فعل مكفر فلا يصح تكفيره بحال كصاحب أسامة؛ وذلك كمن توضأ فوضؤوه صحيح وتصح صلاته مالم يحدث فإذا أحدث لم يصح وضؤوه ولا صلاته فلا يقول قائل: إنه لما لم يصح أن يقال لمن توضأ ولم يحدث: بطل وضؤوك، إذن لا يقال لمن أحدث بطل وضؤوك بل إن هناك فرقًا بين الأمرين، فالرجل الذي قتله أسامة قال كلمة التوحيد ولم يقع في ناقض من نواقضها فهو على توحيده مثل الذي توضأ ولم يقع في دون أن يقع في ناقض من نواقض

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال: معلوم أن رسول الله ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: (لا إله إلا الله)، وأن أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. ويصلون ويدعون الإسلام، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار. (١)

وهؤلاء الجهلة مقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل، ولو قال (لا إله إلا الله)، وأن من جحد شيئا من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها. فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعا من الفروع، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه؟ ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث. (٢)

الوضوء فهو على طهارته، ففرق بين هذا وبين من يقع في ناقض من نواقض كلمة التوحيد بعد نطقها، وناقض من نواقض الوضوء بعد التطهر.

(١) الجواب الأول: تقدم ذكر أدلة وأعاد بعضها الآن أن هؤلاء يقولون لا إله إلا الله وصاروا كفارا، وإنما كفروا بأن وقعوا في ناقض من نواقض لا إله إلا الله.

(٢) الجواب الثاني: أورد لهم لازمًا وهو أنهم يكفرون من قال لا إله إلا الله وأنكر البعث والنشور، فإذن قد يكفر الرجل بعد إسلامه وهكذا يقال في بقية المكفرات.

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك. و أنزل الله تعالى في ذلك: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا)) [النساء: ٩٤] أي فتثبتوا.

فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت. فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتل لقوله تعالى: ((فَتَبَيَّنُوا))، ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله. معناه ما ذكرناه أن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه، إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك.[١]

والدليل على هذا أن رسول الله ﷺ قال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" وقال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" هو الذي قال في الخوارج: "أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد" مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا وتسبيحا،

---

(١) في الحديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فيقولون: كيف تكفرونه حتى لما قال: لا إله إلا الله.

حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم. وهم تعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم (لا إله إلا الله) ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة.[١]

---

(١) في هذا أن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب يقرر أن الخوارج كفار، ووجه ذلك أن الإمام المجدد أورد هذا في سياق أن الرجل يكفر بعد إسلامه فيقتل، والرد على أقوام يقولون لا يكفر الرجل بعد إسلامه، والقول بكفر الخوارج أحد قولي أهل العلم، فإن العلماء مختلفون في المسألة على قولين،

القول الأول: أن الخوارج كفار وهذا قول عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة.

القول الثاني: ليس الخوارج كفارًا وهذا قول عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة. وقد اختار الإمام المجدد أن الخوارج كفار كما يدل عليه سياق كلامه.

والأظهر -والله أعلم- أن الخوارج ليسوا كفارا كما ذكر هذا ابن تيمية في كتابه منهاج السنة ومجموع الفتاوى وحكى إجماع الصحابة على ذلك، قال: لأنهم صلوا خلفهم، فعلى الصحيح ليس الخوارج كفارا كما أجمع الصحابة على ذلك ومن خالف بعد ذلك فهو محجوج بإجماع الصحابة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة. (١)

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة، حتى أنزل الله: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)) [الحجرات: ٦] وكان الرجل كاذبا عليهم، وكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي احتجوا بها هو ما ذكرناه.(٢)

ولهم شبهة أخرى وهو ما ذكر النبي ﷺ: "أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى، فكلهم

فقال في منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤١): "بل كانت سيرة عليّ والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة ولم ينكر أحد على علي ذلك فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام".

(١) كفرهم الصحابة بعد إسلامهم لما وقعوا في ناقض من نواقض الإسلام.

(٢) المراد من حديث أسامة أن هذا الرجل قال لا إله إلا الله ولم يقع في ناقض من نواقض الإسلام فعليه لم يجز قتله.

يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ " قالوا: فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا.(١)

---

(١) **يقول المشرك**: الناس يوم القيامة يستغيثون بالأنبياء فدلَّ على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركًا، ولفظ يستغيثون لم أرها في الصحيحين وإنما فيهما أنهم يأتون الأنبياء ويطلبون منهم الشفاعة، وقد يستدل بأن هذا الفعل يسمى استغاثة أما لفظ استغاثة نفسه لم أره في الصحيحين ويغني عن هذا ما ثبت عند الشيخين عن أبي هريرة، قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك».

فدلَّ على جواز الاستغاثة بغير الله، وحكى إجماع العلماء على جواز الاستغاثة بغير الله لمن كان قادرًا ابن تيمية في (الرد على البكري) والشوكاني في كتابه (الدر النضيد) فلا خلاف

والجواب أن نقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه. فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال الله تعالى في قصة موسى: ((فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ)) [القصص: ١٥] (١)،

بين العلماء في هذا، وهذا حق، فيجوز الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه، فإن الاستغاثة نوع من الدعاء وتقدم ذكر الدليل على أنه يجوز دعاء المخلوق ويجوز الاستغاثة بالمخلوق بما تقدم ذكره من حديث أبي هريرة: «... فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي».

(١) الاستدلال بهذا الدليل المعين على جواز الاستغاثة فيه نزاع، ولابن تيمية قولان:

القول الأول: ذكر أن الاستغاثة بالمخلوق جائزة وذكر أدلة ومن ضمن أدلته هذه الآية كما في مجموع الفتاوى.

القول الثاني: فصّل فيه وبين أن الاستدلال بهذه الآية لا يصح وذل؛ أن موسى لم يكن نبيًا وقت استغاثة الرجل به فلا يستدل بفعل من ليس حجة إذ لم يكن موسى ذاك الوقت نبيا، والذي استغاث بموسى لم يثبت إسلامه حتى يحتج به، ذكره في كتابه الرد على البكري وذلك مثل قول من قال يجوز طلب الرجاء من المخلوق مستدلا بقوله تعالى: ﴿**قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا**﴾ [هود: ٦٢]**فيقال:** إن فعل هؤلاء ليس حجة بل هو

وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء، اوفي غيبتهم في الأشياء التي لا يقدرعليها إلا الله.(١)

إذا ثبت ذلك: فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائزفي الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته. وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم

فعل كفار ومشركين، وإن كان طلب الرجاء جائزا من المخلوق إذا كان قادرا عليه قال الله سبحانه: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ [النور: ٦٠] لكن البحث في الاستدلال بهذه الآية.

والقول الثاني أظهر -والله أعلم-.

(١) وهذا ضابط مهم؛ لأن دعاة الشرك يرددون كثيرا أن أهل التوحيد ينكرون الاستغاثة، وهذا خطأ على أهل التوحيد فإنهم يجوزون الاستغاثة بالحي الموجود فيما يقدر عليه إجماعًا -كما تقدم- وإنما ينكرون الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

سألوه ذلك عند قبره. بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره. فكيف بدعائه نفسه؟[١]

ولهم شبهة أخرى: وهو قصة إبراهيم لما ألقي في النار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا.

قالوا: فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أن هذا من جنس الشبهة الأولى، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله فيه: ((شَدِيدُ الْقُوَى)) [النجم: ٥] فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أن يضع إبراهيم في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو

---

(١) أي: بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون المستغاث به حيًّا.

الشرط الثاني: أن يكون المستغاث به قادرًا.

الشرط الثالث: أن يكون المستغاث به موجودًا.

فإذا اجتمعت هذه الشروط الثلاثة فإن الاستغاثة بالمخلوق جائزة إجماعًا.

أن يهبه شيئا يقضي به حاجته، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد. فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟(١)

ولنختم الكلام إن شاء الله تعالى بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم.(٢)

---

(١) فاستدلالهم هذا خارج مورد النزاع كما بين الإمام المجدد في جوابه؛ فإن جبريل عليه السلام كان موجودًا حيًّا قادرًا فيجوز الاستغاثة به، لكن يأبون إلا أن يستدلوا بما هو متفق عليه على ما هو مختلف فيه، وهذه القصة أخرجها ابن جرير الطبري من طريق المعتمر بن سليمان عن بعض أصحابه فهي لا تصح، لأنها مرسلة، لكن المعنى من جهة الاستغاثة بالمخلوق القادر معنى صحيح.

(٢) بهذا انتهى الإمام المصنف من المقدمة العظيمة والتي تضمنت صفات الكفار الذين قاتلهم النبي ﷺ وكفرهم، وذكر صفات ثلاثة ثم ذكر بعد ذلك أمرين: ومنها: الفرح بما من الله به، ثم ذكر أن الرجل قد يكفر بعد إسلامه، ثم ذكر بعد ذلك الجواب على الشبه، وأن الجواب إما أن يكون بجواب مجمل أو جواب مفصل، وذكر الجواب المجمل ثم ذكر الجواب المفصل، وذكر شبهات ثلاث، وهي الأصل وهي الأقوى، ثم استطرد في ذكر الشبهات فلما انتهى ابتدأ بالخاتمة وهي خاتمة عظيمة للغاية.

ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها. فنقول: لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل; فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما.(١)

فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند، كفرعون و إبليس وأمثالهما، وهذا يغلط فيه كثير من الناس. يقولون: هذا حق. ونحن نفهم هذا.

ونشهد أنه الحق ولكنا لا نقدر أن نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من و افقهم، أو غير ذلك من الأعذار. ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار. كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦](٢)

---

(١) وبيان هذا أن الإمام المجدد يرد على أناس في زمانه يزعمون أنهم موحدون وهم يجاملون قومهم في الشرك كدعاء غير الله فيدعون غير الله مع قومهم حتى لا يغضبوهم إلى غير ذلك من الأعذار فبين أنه لا بد أن يبين ضلالهم وأنهم مشركون، وأنه بفعله الشرك الأكبر مجاملة لقومه يكون مشركًا سواء كان الشرك قولا أو فعلًا أو اعتقادًا.

(٢) ليست هذه الأعذار مقبولة ولا مانعة من تكفيره إذا وقع في الشرك الأكبر ما لم يبلغ درجة الإكراه كما سيبين ذلك الإمام المجدد.

فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لا يفهمه أو لا يعتقده بقلبه فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة لأحد. (١)

وترى من يعمل به ظاهرا لا باطنا، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه فإذا هو لا يعرفه. (٢)

---

(١) يفعل الشرك الأكبر قولًا أو عملًا لأجل حفظ ماله أو جاهه أو غير ذلك، وهذا ليس عذرا بل العذر في الإكراه فقط.

(٢) تقدم في كلام الشيخ أن هؤلاء منافقون، ووجه ذلك أنهم لم يعتقدوا التوحيد في قلوبهم، وإنما وحدوا في الظاهر دون الباطن.

جعل المصنف أقسام الناس مع التوحيد ثلاثة: القسم الأول: عمل بالتوحيد ظاهرًا وباطنًا أي قولًا وفعلًا واعتقادًا. والقسم الثاني: علم التوحيد وأحبه -بزعمه- لكن وقع في ناقضه مجاملة لقومه أو لغير ذلك فتركه عملًا وقولًا فهذا مشرك. القسم الثالث: موحد في الظاهر بأن لم يشرك في عمله وقوله لكن لم يعتقد التوحيد بقلبه لعدم معرفته أو لغير ذلك، فهذا كالمنافقين. تراجع حاشية العلامة محمد بن إبراهيم على كشف الشبهات -رحمه الله-

ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله:

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]

فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع الرسول ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر أو يعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد، أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها.(١)

---

(١) ولكن الأظهر – والله أعلم – أنهم كانوا منافقين وليسوا من الصحابة، ولشيخ الإسلام في هذه المسألة قولان:

القول الأول: أنهم كانوا منافقين، ذكره في كتابه الصارم المسلول.

القول الثاني: أنهم كانوا مؤمنين –أي كانوا من الصحابة– ذكره في كتابه الإيمان الكبير.

والقول الأول بأنهم منافقون أصح، وهو المروي عن عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين، ويدل عليه سياق الآية فإنها في المنافقين.

فإن قيل: كيف يكونون منافقين وقد قال الله ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦]؟

فيقال: أي: أظهرتم الكفر بعد إظهاركم للإيمان.

فإن قيل: إذن لا يكفر بها المؤمنون وإنما يكفر بها المنافقون؛ لأنها في المنافقين، **فيقال:** إن ما كُفر به المنافق في الظاهر يكفر به المؤمن؛ لأن المنافق في الظاهر مؤمن، فإذا قيل كفر بهذا الفعل -أي زال إيمانه في الظاهر بهذا الفعل- والذي أزال إيمانه في الظاهر وجعله في الظاهر كافرًا هو كذلك في أهل الإيمان إذا وقعوا فيه.

وقول الإمام المجدد: **مداراة**، الأصح - والله أعلم - قول: **مداهنة**؛ لأن هناك فرقًا بين المداراة والمداهنة؛ وذلك أن المداراة: ترك مصلحة دينية لمصلحة دينية أرجح وقد عمل بهل النبي ﷺ، أما المداهنة: ترك مصلحة دينية لمصلحة دنيوية، ومن ترك مصلحة دينية لمصلحة غير راجحة ففعله محرم وغير جائز قال الله في المداهنة ﴿**وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ**﴾ [القلم: ٩]. وقد ذكر الفرق بين المداراة والمداهنة الحكيم الترمذي والقاضي عياض وأبو العباس القرطبي وابن مفلح في الآداب الشرعية، والشيخ العلامة محمد الصالح العثيمين كما في فتاوى نور على الدرب (١٣/ ٣٩٨) .

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (١/ ٧٩): **"قال ابن الجوزي: هذا فيمن لم يضطر إلى ذلك وإلا جاز، قال أبو الدرداء إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم، ومتى قدر ألا يظهر موافقتهم لم يجز له ذلك قال البخاري ويذكر عن أبي الدرداء فذكره، كذا قال ابن الجوزي، وقول أبي الدرداء هذا ليس فيه موافقة على محرم، ولا فيه كلام، وإنما فيه طلاقة الوجه خاصة للمصلحة وهو معنى ما في الصحيحين وغيرهما عن عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **أن رجلا استأذن على النبي** ﷺ **فقال: " ائذنوا له فبئس ابن العشيرة" أو "بئس رجل العشيرة" أخرجه**

البخاري ومسلم وابن حبان، فلما دخل ألان له القول قلت يا رسول الله قلت الذي قلت ثم ألنت له القول قال" يا عائشة إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه، قال في شرح مسلم وغيره: فيه مداراة من يتقى فحشه ولم يمدحه النبي ﷺ ولا أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام وقد ذكر ابن عبد البر كلام أبي الدرداء في فضل حسن الخلق".

وقال القاضي عياض في إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - (٨/ ٣٠): "هذا من المداراة: وهو بذل الدنيا لصلاح الدنيا والدين، وهي مباحة مستحسنة في بعض الأحوال، خلاف المداهنة: المذمومة المحرمة، وهو بذل الدين لصلاح الدنيا".

قال أبو العباس القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/ ٥٧٣) في شرح هذا الحديث: " ففي حديثه من الفقه جواز غيبة المعلن بفسقه ونفاقه والأمير الجائر والكافر وصاحب البدعة، وجواز مداراتهم اتقاء شرهم لكن ما لم يؤد ذلك إلى المداهنة في دين الله تعالى، والفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة بذل الدنيا لصلاح الدنيا أو الدين، وهي مباحة ومستحسنة في بعض الأحوال، والمداهنة المذمومة المحرمة هي بذل الدين لصالح الدنيا، والنبي ﷺ إنما بذل له من دنياه حسن عشرته والرفق في مكالمته وطلاقة وجهه، ولم يمدحه بقول ولا روعي في ذلك في حديث، فعلى هذا لا يناقض قوله ﷺ في هذا الرجل فعله معه؛ لأن قوله ذاك إخبار بحق، ومداراته له حسن عشرة مع الخلق ".

والآية الثانية: قوله تعالى: ((مَنْ كَفَرَبِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ)) [النحل: ١٠٦]

فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان.

وأما غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلا المكره.(١)

فالآية تدل على هذا من جهتين:

الأولى قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾، فلم يستثن الله تعالى إلا المكره.

ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على الكلام أو الفعل،

وهذه الفائدة في الآية الأولى شديدة على هؤلاء؛ وذلك أن فعلهم الشرك مجاملة ومداهنة لقومهم ليس عذرا فقد كفر الله أقوامًا وقعوا في مكفرات؛ لأنهم كانوا يفعلونها لعبا ومزحا فأقر الله أنهم كانوا يفعلون لهذا الدافع ومع ذلك كفرهم فدل على أن هذا الدافع ليس عذرًا.

(١) إذن لا يعذر أحد في فعله المحرم والشرك مع تعمده لهذا الفعل وعلمه به إلا إذا كان مكرها وما عدا ذلك ليس عذرا، وتقدم أن قوله: مداراة صوابه مداهنة.

وأما عقيدة القلب فلا يكره عليها أحد.[١]

والثانية قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ﴾.

فصرَّح أنَّ هذا الكفروالعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.[٢]

---

(١) هذا كلام عظيم فلا أحد يكره على الاعتقاد لأنه في القلب بخلاف القول والفعل فيتصور فيه الإكراه وقد ذكر هذا ابن تيمية في كتابه الاستقامة، وابن العربي المالكي في كتابه الجامع لأحكام القرآن وظاهر عبارة السيوطي في كتابه الأشباه والنظائر أن العلماء مجمعون عليه.

(٢) فإذن، الوقوع في مكفر لحظ دنيوي ليس عذرًا، وإنما العذر لمن كان عالمًا ومتعمدًا لفعل المكفر أن يكون مكرهًا فحسب، أما غيره فليس عذرًا.

وبهذا تنتهي التعليقات،

أسأل الله أن يتقبل، ويجعله سببًا لرضاه، ونفع عباده.